أجنحة الحلم المنطلقة إلى مدن الخيال الواقعيّة

رؤى المدينة المحلّيّة في أشعار محمود درويش

آثار حاج يحيى *

بـرز موضـوع المدينـة في الشّـعر العـربيّ المعـاصر في القـرن العشريـن بـالتّزامن مـع التّطـوّرات العلميّـة، التّكنولوجيّة، الصّـناعيّة، الاجتماعيّـة، والسّياسـيّة، الّتـي شـهدتها المـدن العربيّـة، وقـد اتّخـذ الشّـعراء العـرب المعاصرون، عمومًا، موقفًا سلبيًّا من عالم المدينة، بوجهها الاجتماعيّ، الاقتصاديّ، السّياسيّ والوجدانيّ.

هذا وبرز موضوع المدينة في أشعار الشّاعر الفلسطينيّ محمود درويـش بشـكل لافـت، باعتبـاره أحـد أبـرز أعلام الشّعر العربيّ الحديث، ولعلّ تنقّل الشّـاعر بـين المـدن والبلـدان المختلفـة، المحليّـة والإقليميّـة، العربيّـة والغربيّة، على حدّ سواء، جعله يتّخذ موقفًا واضحًا وصريحًا مـن عـالم المدينـة، وبالتّـالي يعـبّر عنـه مـن خـلال أشعاره.

وتعتبر التّجربة الشّعريّة الفلسطينيّة حالة متفرّدة لها سمات وخصائص تميّزها من حيـث الظّـرف التّـاريخيّ الّذي تمرّ به. وقد سبق وذكرتُ أنّ الشّـعراء العـرب المعـاصرين تعـاملوا مـع المدينـة، غالبًـا، تعـاملًا سـلبيًّا، إذ اتّخذوا منها موقفًا معاديًا ورافضًا؛ أمّا في حالة الشّعر الفلسطينيّ بشكل عامّ، وشـعر محمـود درويـش بشـكل خاصّ، نلاحظ أنّ العلاقة الّتي تربط الشّاعر بعالم المدينة هي علاقة روحانيّـة قويّـة، إذ يصـوّر الشّـاعر المدينـة بصورة المحبوبة أو المعشوقة أو الأمّ، ممّا يمنحها طابعًا مقدّسًـا؛ ولأنّ الشّـاعر فقـد المدينـة، نجـده يحـنّ إليهـا ويبكي على أطلالها المندثرة، باعتبارها الفردوس المفقود. وبالرّغم من أنّ المدينة ارتبطت عنده بمشـاعر الحـزن، والأسى، والفقدان، إلا أنّه لم يعبّر عن يأسه أو استسـلامه، بـل يـربط خـلاص المدينـة بفعـل المقاومـة، والثّـورة، والتّضحية، والفداء.

---

* محاضرة ومرشدة تربويّة في المعهد الأكاديميّ العربيّ بيت- بيرل.

The Wings = أجنحة الحلم المنطلقة إلى مدن الخيال الواقعية : رؤى المدينة المحلية في أشعار محمود درويش
آثار حاج يحيى
Al Manhal Platform Collections (https://platform.almanhal.com) - 09/09/2025 User: @ House of Wisdom
Copyright © Al-Qasemi Arabic Language Academy : Al-Qasemi College of Education. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/106221

مقدّمة:

توسّعت المدينة في العصر الحديث، وازداد عدد ساكنيها، وكان من الصّعب التّكيّف مع عالمها، فهي بالرّغم من الانجازات العلميّة، والتّكنولوجيّة، والصّناعيّة، لم توفّر لساكنيها الشّعور بالرّاحة، والأمان، والألفة، وذلك نتيجة التّطوّرات الاجتماعيّة والسّياسيّة الّتي شهدتها، من انتشار الحروب، واستغلال الفئات المستضعفة، وكبت حريّة الإنسان، وغيرها. وهذا ما دفع الشّاعر المعاصر إلى اتّخاذ موقف من عالم المدينة، يتأرجح بين الرّفض تارةً، والقبول تارةً أخرى.

ولأنّ موضوع المدينة ووصف تجربة الشّاعر في عالم المدينة من القضايا الإنسانيّة المهمّة والبارزة الّتي يتناولها الشّعراء العرب المعاصرون، تنطلق هذه الدّراسة من البحث في تجلّيات المدينة في الشّعر العربيّ الحديث، ومحاولة تحديد موقف الشّاعر العربيّ المعاصر من عالم المدينة، والصّورة الّتي يرسمها لهذا العالم تعبيرًا عن مشاعره الذّاتيّة تجاه الحضارة في المدينة، وهذا ما يتناوله القسم الأول من المقال.

أمّا القسم الثّاني من المقال فيتخصّص في دراسة نموذج من نماذج الشّعر العربيّ المعاصر، ألا وهو التّجربة الشّعريّة للشّاعر محمود درويش (1941-2008)، والّذي برز عنده موضوع المدينة بشكل لافت، خاصّة وأنّ الشّاعر تنقّل بين العديد من المدن والعواصم العربيّة والغربيّة، المحلّيّة والإقليميّة، على حدّ سواء، فهو النّازح عن قرية البروة، اللّاجئ في جنوب لبنان، السّاكن في دير الأسد، والبعنة، والجديدة، الدّارس في كفر ياسيف، النّاشئ في حيفا، المسافر إلى موسكو، ومصر، وباريس، النّاشر في بيروت والخارج منها، المتنقّل بين رام الله وعمّان، والمتوفى في هيوستن.

إنّ الحضور اللّافت لعالم المدينة في حياة الشّاعر يقودنا إلى ضرورة تحديد علاقته بالمدينة، وتتبّع الملامح الّتي يرسمها لها، ومحاولة مقارنة هذه التّجربة الخاصّة عند الشّاعر محمود درويش بالتّجربة العامّة للشّعراء العرب المعاصرين، ذلك أنّ التّجربة الشّعريّة الفلسطينيّة لها ميزات خاصّة ومتفرّدة نتيجة الظّرف التّاريخيّ الّذي تمرّ به. وقد جاء تركيز البحث على المدن المحلّيّة في أشعار درويش، فهي المدن الأولى الّتي عاش بها الشّاعر، وهي المدن الّتي شكّلت عنده حلم العودة. انطلاقًا من هنا يقوم هذا البحث في دراسة جميع الأشعار الّتي تناولت موضوع المدينة عند الشّاعر محمود درويش، على امتداد مسيرته الشّعريّة، ابتداءً من ديوانه الأوّل **أوراق الزّيتون** (1964) ووصولًا إلى ديوانه الأخير **لا أريد لهذي القصيدة أن تنتهي** (2014)، وذلك من خلال رصد أسماء مدن محليّة محدّدة، مثل: حيفا، يافا، عكّا، القدس، أريحا وغيرها أو من خلال رصد لفظة المدينة أو المدن غير المحدّدة.

أجنحة الحلم المنطلقة إلى مدن الخيال الواقعية : رؤى المدينة المحلية في أشعار محمود درويش = The Wings
آثار حاج يحيى
Al Manhal Platform Collections (https://platform.almanhal.com) - 09/09/2025 User: @ House of Wisdom
Copyright © Al-Qasemi Arabic Language Academy : Al-Qasemi College of Education. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/106221

المدينة في الشّعر العربيّ الحديث:

يعتبر موضوع المدينة ووصف تجربة الشّاعر في عالم المدينة من القضايا المهمّة والبارزة الّتي يتناولها الشّعراء العرب المعاصرون، ونكاد لا نجد شاعرًا عربيًّا معاصرًا لم يطرق موضوع المدينة، بل ونجد أنّ هنالك بعض الشّعراء الّذين استحوذ موضوع المدينة على غالبيّة تجاربهم الشّعريّة. ولم يقتصر موضوع المدينة على مدرسة أو مذهب شعريّ معيّن، بل طرقه جميع الشّعراء العرب في مختلف تيّاراتهم ومذاهبهم الشّعريّة: النّيوكلاسيكيّة، الرّومانسيّة، الواقعيّة والرّمزيّة. وقد برز موضوع المدينة في الشّعر المعاصر، خاصّة في القرن العشرين، وذلك بالتّزامن مع التّطوّرات العلميّة، التّكنولوجيّة، الصّناعيّة، الاجتماعيّة، والسّياسيّة، والّتي شهدتها المدن العربيّة في العصر الحديث.

ولا يقتصر موضوع المدينة على الشّعر العربيّ المعاصر، بل تمتدّ جذوره في الشّعر القديم، وذلك مع بدايات انتقال الشّاعر العربيّ من عالم البداوة والصّحراء إلى عالم المدن الإسمنتيّة، وبالرّغم من ذلك، لم تكن ثيمة المدينة متبلورة وبارزة ومنتشرة كما هي في الشّعر الحديث، بل طرقها الشّعراء القدماء بشكل متفرّق ومحدود، فها هو الشّنفرى يتحدّث في لاميته عن نفسه في البيداء مصاحبًا لوحوشها، متباهيًا بتجاوز صعابها وينفي عنه "التخنّث الحضريّ".[1] وها هي الشّاعرة ميسون بنت بحدل، وهي شاعرة بدويّة تزوّجها معاوية بن أبي سفيان، ونقلها إلى حاضرة الشّام، فأثقلتها الغربة، وحنّت إلى حياتها الأولى، فعبّرت عن ضيقها بحياة الحاضرة مستهلّةً قصيدتها بقولها:

"لبيت تخفق الأرواح فيه أحبّ إليّ من قصر منيف".[2]

---

1 مناف منصور، **الإنسان وعالم المدينة في الشّعر العربيّ الحديث** (بيروت: المطبعة الكاثوليكيّة، 1978)، 34.

2 مختار أبو غالي، **المدينة في الشّعر العربيّ المعاصر** (الكويت: المجلس الوطنيّ للثّقافة والفنون والآداب، 1995)، 8-9؛ عبد الله رضوان، **المدينة في الشّعر العربيّ الحديث** (عمّان: وزارة الثّقافة، 2003)، 5-7؛ ومن الجدير بالذّكر أنّ موقف الشّعر العربيّ القديم لم يقتصر على الرّفض لعالم المدينة، بل تضمّن أحيانًا تعلّق الشّاعر بعالم المدينة والحياة الحضريّة، ورفضه للبداوة، ومن أمثلة ذلك أذكر موقف أبي النّوّاس الّذي تغنّى بالمدينة وعالمها، وعبّر عن نفوره من البادية قائلًا:

"أحبّ إليّ من وخد المطايا بموماة يتيه بها الظّليم
ومن نعت الدّيار ووصف ربع تلوح به على القدم الرّسوم
رياض بالشّقائق مونقات تكنف نبتها نور عميم"

راجع: محمّد حمود، **الحداثة في الشّعر العربيّ المعاصر: بيانها ومظاهرها** (بيروت: الشّركة العالميّة للكتب، 1996)، 263؛ منصور، **الإنسان**، 35.

The Wings = أجنحة الحلم المنطلقة إلى مدن الخيال الواقعية : رؤى المدينة المحلية في أشعار محمود درويش
آثار حاج يحيى
Al Manhal Platform Collections (https://platform.almanhal.com) - 09/09/2025 User: @ House of Wisdom
Copyright © Al-Qasemi Arabic Language Academy : Al-Qasemi College of Education. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/106221

ومن الجدير بالذّكر أنّ موضوع المدينة في العصر الحديث برز أوّلًا في الشّعر الغربيّ، وذلك نتيجة الثّورة الصّناعيّة وانتشار المصانع واستبدال العمّال بالآلات، ممّا جعل حياة الإنسان روتينيّة، آليّة، مملّة وتفتقد الاتّصال الإنسانيّ؛[1] أمّا المشرق العربيّ، فقد شهد نزوحًا من حياة الرّيف والقرية إلى حياة المدن، ولم يتكيّف الشّعراء مع هذا العالم الجديد، وبالتّالي عبّروا عن موقفهم الرّافض للمدينة. وقد برز جدل واسع حول موضوع المدينة في الشّعر العربيّ المعاصر، فرأى البعض أنّ موقف الشّاعر العربيّ المعاصر الرّافض للمدينة ما هو إلّا تقليد للشّاعر الغربيّ الّذي عبّر عن ضيقه بالمدينة، في حين رأى البعض الآخر أنّ الشّاعر العربيّ عبّر عن تجربته في المدينة بأصالة، لأنّه فعلًا يعيش هذه التّجربة كما الشّاعر الغربيّ، وإن كان الأخير قد سبقه في هذا الميدان.[2]

ومن يتتبّع موقف الشّعراء العرب المعاصرين من المدينة، يلاحظ أنّ هذا الموقف، عمومًا، موقف سلبيّ رافض للتكيّف مع المدينة وعالمها الماديّ، فمن النّاحية الوجدانيّة- الاجتماعيّة، يصف الشّعراء إحساسهم بالغربة، والوحدة، والضّياع، والعزلة، والانطواء على الذّات، والخوف، والقلق، والضّجر، وأحيانًا اليأس في عالم المدينة؛ ففي المدينة، يفقد الفرد العلاقات الإنسانيّة البسيطة والتّواصل الإنسانيّ، ممّا يجعله متمركزًا حول ذاته، وبالتّالي يشعر بالضّيق والمرارة والألم. والحياة في المدينة، كما يصفها الشّعراء، حياة مصطنعة وليست حقيقيّة،

---

1 هكذا كانت قصيدة "الأرض الخراب" للشّاعر إليوت، والّتي عبّر من خلالها عن رفضه للحضارة الحديثة المتمثّلة بالمدينة، فالمدينة عبارة عن مكان يخلو من كلّ روح، وهي مستودع تُعلّب فيه عظام الموتى، ويتراكم فيه النّاس كالسّلع، ممّا ينذر بالفناء والهلاك. راجع: سعيد الورقيّ، **الموقف من المدينة في الشّعر العربيّ المعاصر** (الإسكندريّة: دار المعرفة الجامعيّة، 1991)، 9؛ عزّ الدّين إسماعيل، **الشّعر العربيّ المعاصر: قاضياه وظواهره الفنّيّة والمعنويّة** (القاهرة: المكتبة الأكاديميّة، 2003)، 280.

2 ومن أمثلة ذلك موقف النّاقد إحسان عبّاس، والّذي بيّن أنّ الشّاعر الغربيّ له دوافعه الخاصّة للتّعبير عن ضيقه بعالم المدينة، أمّا الشّاعر العربيّ فهو في هذا المجال مقلّد ومحاكٍ للشّاعر الغربيّ، ذلك أنّ الحياة "المدنيّة" في المجتمع العربيّ لم تكن نتيجة ثورة صناعيّة بقدر ما كانت استمرارًا للتّوسّع في مدن عربيّة قديمة. ونجد نفس الموقف عند النّاقد عزّ الدّين إسماعيل، إذ يرى أنّ الدّافع الأوّل للاهتمام بعالم المدينة عند الشّاعر العربيّ الحديث هو التّأثّر بالشّعر الغربيّ، خاصّة بالشّاعر إليوت وبقصيدته "الأرض الخراب"، وقد ظهر هذا التّأثّر في بداية حركة التّجديد، كما نجد في قصيدة "الملك لك" لصلاح عبد الصّبور، ثمّ شاع وانتشر بين سائر الشّعراء حتّى أولئك الّذين لم يقرأوا إليوت. ويضيف النّاقد إلى أنّ اهتمام الشّعراء العرب بموضوع المدينة قد تجاوز عامل التّأثّر بالشّعر الغربيّ، ذلك لأنّ الشّاعر العربيّ لو لم يعش واقع المدينة ويتأثّر به لما ظفر موضوع المدينة بهذه العناية الفائقة في الشّعر العربيّ المعاصر. راجع: إحسان عبّاس، **اتّجاهات الشّعر العربيّ المعاصر** (عمّان: دار الشّروق، 1992)، 89-90؛ إسماعيل، **الشّعر العربيّ**، 280؛ حمود، **الحداثة**، 263-264؛ أبو غالي، **المدينة**، 11-12.

أجنحة الحلم المنطلقة إلى مدن الخيال الواقعية : رؤى المدينة المحلية في أشعار محمود درويش = The Wings
آثار حاج يحيى
Al Manhal Platform Collections (https://platform.almanhal.com) - 09/09/2025 User: @ House of Wisdom
Copyright © Al-Qasemi Arabic Language Academy : Al-Qasemi College of Education. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/106221

إذ تفتقر للوجه الحقيقيّ الصّادق للإنسانيّة، وتقدّم بالمقابل حياة مصطنعة وزائفة تعتمد على المظاهر الخدّاعة. بالإضافة إلى ذلك، يدين الشّعراء الانحلال الخلقيّ والمفاسد الاجتماعيّة في المدينة، ومنها ظاهرة البغاء، والّتي تقود إلى الخراب النّفسيّ والوجدانيّة كما ويدين الشّعراء أنماط وملامح الحياة في عالم المدينة، ومن أبرز هذه الملامح الضّجيج، والازدحام، وضخامة التّجمّع البشريّ، وفقدان الهدوء والرّاحة، فهذا الازدحام يؤدّي إلى انسحاق الفرد وعدم وضوحه، فيشعر الفرد بالضّيق، والقمع، والمصادرة، والضّآلة؛ وبالرّغم من اتّساع المدينة الجغرافيّ، إلّا أنّها، بازدحامها السّكانيّ، تصبح أقرب إلى السّجن منها إلى الحريّة. هذا ويعتبر بعض الشّعراء أنّ الموت من ملامح الحياة في المدينة، وهو موت نفسيّ، وجدانيّ واجتماعيّ. ويدين البعض الآخر الطّبقيّة الاجتماعيّة في المدينة، وفقدان العدالة الاجتماعيّة في توزيع الثّروة، وانقسام المجتمع إلى طبقتين بارزتين: طبقة العمّال الكادحين، وطبقة الإقطاع ورأس المال، فيصوّرون الجوع، والفقر، والحاجة الملحّة إلى المال، ويطرحون النّظام الاشتراكيّ كبديل للواقع الاجتماعيّ المشوّه. ونجد هذا الموقف الرّافض للمدينة عند الكثير من الشّعراء العرب الحديثين، نذكر منهم، على سبيل المثال لا الحصر: السّيّاب، وحاوي، والبياتي، وعبد الصّبور، وأدونيس، والحيدري، وحجازي، والفيتوري، والماغوط، وأمل دنقل.[1]

بالإضافة إلى موقف الشّعراء الرّافض للمدينة في وجهها الاجتماعيّ، يعبّر الشّعراء العرب المحدثون عن رفضهم لعالم المدينة بوجهها السّياسيّ، وإن كان الوجهان- السّياسيّ والاجتماعيّ- متّصلين ببعضهما البعض. وقد برز نقد الوجه السّياسيّ للمدينة العربيّة في القرن العشرين، وذلك نتيجة التّغيّرات السّياسيّة الّتي اجتاحت العالم العربيّ، وغيّرت شكل الفكر، فبرزت الرّوح القوميّة، واشتعل وجدان الشّعوب في المدن العربيّة. وفي هذا المجال يعبّر الشّاعر العربيّ عن رفضه للواقع السّياسيّ للمدينة العربيّة، الواقع الرازح تحت وطأة الاستعمار، والاحتلال، والأنظمة الدّكتاتوريّة، والحروب الدّامية، والقمع، والاضطّهاد، والطّغيان السّياسيّ، هذا الواقع تسيطر به قوى الظّلم ونفوذ المستغلّين ممّا يولّد الإحساس بالقهر، والكبت، والخوف، وسلب الحريّات الإنسانيّة، والاغتراب السّياسيّ، من هنا تُصوّر المدينة على أنّها ممارسة للظّلم، والاستعباد، والاستبداد مع أهلها. ولم يكتف الشّعراء العرب بإدانة الطّغيان السّياسيّ في عالم المدينة، بل اقترنت هذه الإدانة عندهم بروح

---

1 رضوان، **المدينة**، 11-53؛ حمود، **الحداثة**، 261-285؛ أبو غالي، **المدينة**، 121-177؛ الورقيّ، **الموقف**، 31-52. يعلّق النّاقد حنّا عبّود على الوجه الاجتماعيّ- الوجدانيّ للمدينة، كما تجلّى في الشّعر العربيّ الحديث، قائلًا إنّ هذا الوجه للمدينة يظهر بوضوح في بداية السّتينات، لكنّه يتحوّل بعد ذلك إلى وجه سياسيّ، أي يخضع لرؤية الشّاعر السّياسيّة وموقفه من السّلطة. راجع: رضوان، **المدينة**، 53.

The Wings = أجنحة الحلم المنطلقة إلى مدن الخيال الواقعية : رؤى المدينة المحلية في أشعار محمود درويش
آثار حاج يحيى
Al Manhal Platform Collections (https://platform.almanhal.com) - 09/09/2025 User: @ House of Wisdom
Copyright © Al-Qasemi Arabic Language Academy : Al-Qasemi College of Education. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/106221

التّمرّد، والنّضال، والثّورة الرّافضة، والّتي تقود إلى الولادة الجديدة، والانبعاث، والخلاص، كما نجد عند البياتي، والسيّاب، والحيدري، وعبد الصّبور، وحجازي، وغيرهم.[1]

من جانب آخر، يتّخذ الشّعراء موقفًا وجدانيًّا ايجابيًّا من عالم الرّيف والقرية والطّبيعة، فيحنّون إليه كنوع من الطّلل، باعتباره النّقيض لعالم المدينة، ورمز البراءة، والنّقاء، والأمان، والألفة، والطّهارة، والصّدق، والحريّة. ونجدهم يقارنون بين عالم المدينة وعالم الرّيف أو القرية منحازين بشكل واضح إلى عالم الرّيف، وفي ذلك دعوة مبطّنة أو صريحة للعودة إلى حياة الرّيف.[2] ويظهر هذا الاتّجاه خاصّة عند الشّعراء الّذين نزحوا في مرحلة معيّنة من مراحل حياتهم من عالم الرّيف إلى عالم المدينة، فوجدوا أنّ المدينة تسيطر عليهم وتفقدهم خصوصيّتهم الرّيفيّة- الفلاحيّة، من هنا نجدهم يتشبّثون بانتمائهم الرّيفيّ بشكل مباشر، ويستعيدون صورًا من عالم الرّيف يخبّئونها بين جوانحهم، ويحنّون إليها. كما نجد عند الشّاعر أحمد عبد المعطي حجازيّ في قوله:

"... وأنا ابن الرّيف

ودّعت أهلي وانتجعت هنا

لكنّ قبر أبي بقريتنا هناك

يحثّه الصّبّار

وهناك

ما زالت لنا في الأفق دار"[3]

ومن بين الصّور المرتبطة بعالم القرية أو الرّيف المستحضرة في الشّعر العربيّ الحديث، بعد شحنها بدلالات رمزيّة، أذكر: المصباح، والشّمعدان، والمصطبة، والكرم، والنّخيل، وحقول القمح، والأجران، واللّيمون، والزّهور، وورق البراعم، وأشجار التّوت، والسّنابل، والصّفصاف، والطّيور، وغيرها.[4]

ومن بواعث رفض الشّعراء العرب للمدينة والنّفور من عالمها محاولة البحث عن مدن أخرى مستقبليّة، مدن مثاليّة وفاضلة، امتدادًا لفكرة "المدينة الفاضلة" الّتي طرحها أفلاطون في جمهوريّته، وهي مدن مثاليّة يتوصّل

---

1 أبو غالي، **المدينة**، 179-259؛ رضوان، **المدينة**، 55-64.

2 قد لخّص النّاقد أبو غالي مقارنة الشّعراء العرب لعالميّ القرية والمدينة في أشعارهم، قائلًا: "وإذا كانت الطّيور في الرّيف تصدح وتهدل، فطيور المدينة من الفولاذ (الطّائرات) تهدر وتحمحم، وإذا كانت المواصلات في الرّيف تلتقي بالحمر الهزيلة الطّيبة الصّبور، فهي في المدينة ترام وسيّارات وباصات، لا تسبّب الإزعاج فقط، ولكنّها تقضي في بعض الأحيان على حياة النّاس [...] فالأمان هنا والفزع هناك". راجع: أبو غالي، **المدينة**، 73.

3 أحمد عبد المعطي حجازي، **ديوان أحمد عبد المعطي حجازي** (بيروت: دار العودة، 1973)، 123.

4 رضوان، **المدينة**، 43-49؛ أبو غالي، **المدينة**، 31-74؛ إسماعيل، **الشّعر**، 281.

The Wings = أجنحة الحلم المنطلقة إلى مدن الخيال الواقعية : رؤى المدينة المحلية في أشعار محمود درويش
آثار حاج يحيى
Al Manhal Platform Collections (https://platform.almanhal.com) - 09/09/2025 User: @ House of Wisdom
Copyright © Al-Qasemi Arabic Language Academy : Al-Qasemi College of Education. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/106221

إليها الشّاعر من خلال الحلم، ويلوذ بها من قسوة الواقع وجفافه، وتكون بديلًا لمدينة الواقع الّتي يعيش بها، والّتي تثير بداخله مشاعر الاغتراب والمعاناة. ومن الملاحظ أنّ الطّابع العامّ للمدينة الفاضلة الّتي يحلم بها شعراؤنا المعاصرون تتّصف بصفات مشتركة، فهي مدينة الحبّ، والبوح، والاتّصال الإنسانيّ، وتعكس أحيانًا مفهوم الجنّة، ففيها الورود، والعطور، والألق، والضّياء، والصّحو السّرمديّ، ونصلها من خلال السّفر، والأغاني، والأناشيد، وهي خالية من مظاهر الفقر والاغتراب، وأحيانًا يُنظر إليها بمنظور يساريّ، فتُوظّف لوصفها مفردات مثل: الشّعب، الكفاح، العمّال، النّضال وغيرها، وأحيانًا أخرى نجد في وصفها مسحات صوفيّة. وفي رحلة بحث الشّعراء العرب عن مدن الأحلام، نجدهم يلجئون إلى الأساطير، ويبحثون في الماضي عن بديل لجفاف الواقع، فيوظّفون أساطير مختلفة تخدم دلالات القصيدة، مثل: السّندباد، ألف ليلة وليلة، تموز، الفينيق، المسيح، إرم ذات العماد، عنترة وعبلة، علاء الدّين، أدونيس، ايزيس، سيزيف، عشتار، وغيرها.[1]

ولم يكتف الشّعراء العرب بتصوير المدينة وعالمها والتّعبير عن موقفهم تجاهها بشكل مباشر، بل استخدموها كرمز للتّعبير عن دلالات أخرى غير مباشرة، فتشير المدينة عند بعضهم إلى المرأة المحبوبة أو المرأة الغريزة، وبالتّالي فإنّ اغتراب الشّاعر في المدينة ما هو إلا تعبير عن بعده عن محبوبته، وأحيانًا تحمل المدينة دلالة الوطن بمجمله، ويكون اغتراب الشّاعر في المدينة تعبيرًا عن اغترابه في وطنه، كما وتُستخدم المدينة رمزًا للسّلطة، والقمع، والقهر الموجّه للمناضل الثّائر، وأحيانًا أخرى ترمز للشّعب، والثّورة، والنّضال، والتّجدّد. من جانب آخر، يستخدم الشّعراء رموز تاريخيّة للتّعبير عن موقفهم تجاه المدينة، فيستحضرون مدن قديمة ذات أهميّة في الحضارة العربيّة والإسلاميّة، أذكر منها: الأندلس، قرطبة، إشبيلية، غرناطة، بابل، بخارى، دمشق، آشور، نيسابور، بعلبك، بغداد، كربلاء، سمرقند، إرم، بابل، سدوم وغيرها.[2]

ومن الجدير بالذّكر أنّ موقف بعض الشّعراء المعادي للمدينة والمتمرّد عليها، قد تحوّل في مرحلة ما إلى موقف المهادنة والقبول والانسجام، كما نجد عند السّيّاب، وعبد الصّبور، وأحمد عبد المعطي حجازي، وغيرهم، فقد التفت هؤلاء الشّعراء إلى الوجه الايجابيّ لعالم المدينة، وأشاروا إلى جوانب ايجابيّة جديدة للحياة في المدينة لم يكتشفوها إلّا من خلال المعاشرة، من بينها العمل وبناء المستقبل، وبدأ يطفو الإحساس بالانسجام والألفة. إنّ ما يفسّر هذا التّغيّر في موقف الشّعراء تجاه المدينة هو أنّ قسم كبير منهم قد نزح عن

---

1 ونجد هذه الصّفات المشتركة للمدينة الفاضلة عند كلّ من الشّعراء: أحمد عبد المعطي حجازي في قصيدته "قصيدة حبّ في الظّلام"، ونازك الملائكة في قصيدتها "يوتوبيا الضّائعة"، وصلاح عبد الصّبور في قصيدته "سوناتا"، وعبد الوهّاب البياتي في قصيدته "أحلام شاعر"، وسعدي يوسف في قصيدته "المدينة الّتي أردتُ أن أسير إليها"، ومحمّد إبراهيم أبو سنّة في قصيدته "المغامر المجنون" وعبد العزيز المقالح في قصيدته "من تحوّلات شاعر يمانيّ في أزمة النّار والمطر". راجع: أبو غالي، **المدينة**، 263-364.

2 رضوان، **المدينة**، 133-150.

The Wings = أجنحة الحلم المنطلقة إلى مدن الخيال الواقعية : رؤى المدينة المحلية في أشعار محمود درويش
آثار حاج يحيى
Al Manhal Platform Collections (https://platform.almanhal.com) - 09/09/2025 User: @ House of Wisdom
Copyright © Al-Qasemi Arabic Language Academy : Al-Qasemi College of Education. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/106221

الرّيف أو القرية، فكانت صدمة اللّقاء الأوّل بعالم المدينة كبيرة، ممّا أدّى إلى الشّعور بالضّيق والخوف والتّوتّر، ولكن مع استمرار المعايشة زالت هذه المشاعر السّلبيّة، وتبدّلت بمشاعر الألفة والانسجام، ممّا أدّى إلى الالتفات إلى الجوانب الايجابيّة للحياة في المدينة، فهي، كما يوضّح النّاقد إحسان عبّاس، منحت الشّاعر "حريّة فرديّة كبيرة، وخلّصته من أسر العادات الرّتيبة وقبضتها الوثيقة".[1] يقول الشّاعر صلاح عبد الصّبور:

"أحببت هذه المدينة

(ما أضيق الفراغ بين الحبّ والإشفاق والضّغينة)

أحببت أن أعيش بين لحمها

لكي أحسّ نبضها العليل في عروقها الدّفينة"[2]

وبالنّظر إلى التّجربة الشّعريّة الفلسطينيّة بشكل خاصّ، نلاحظ أنّ للمدينة حضورًا بارزًا ومكثّفًا، فقد كتب الشّعراء عن المدينة بمختلف تجلّياتها: المدينة التّاريخيّة، المقدّسة، الفلسطينيّة، الأوروبيّة، العربيّة، وغيرها. ومن أبرز المدن الّتي يذكرها الشّعراء في هذا المجال: حيفا، القدس، عكّا، يافا، أريحا وغيرها، غير أنّ طرق موضوع المدينة عند الشّعراء الفلسطينيّين المحلّيّين له ميزات وخصائص تميّزه عن باقي القصائد العربيّة، على اعتبار أنّ التّجربة الشّعريّة الفلسطينيّة متفرّدة من حيث الظّرف التّاريخيّ الّذي تمرّ به. وقد سبق وذكرنا أنّ الشّعراء العرب المعاصرين تعاملوا مع المدينة، غالبًا، تعاملًا سلبيًّا، إذ اتّخذوا منها موقفًا معاديًا ورافضًا، أمّا في حالة الشّعر الفلسطينيّ المحلّيّ نلاحظ أنّ الشّعراء حنّوا إلى المدينة واتّخذوا منها موقفًا ايجابيًّا، بل ومقدّسًا في كثير من الأحيان، باعتبارها الفردوس المفقود. إنّ تجربة المنافي والشّتات وضياع المدينة جعلت الفلسطينيّ متمسّكًا في أرضه ومكانه الأوّل، باعتبارها مركّبًا أساسيًّا من مركّبات الهويّة، وقد حاول الشّاعر تعويض فقدان المكان من خلال استحضاره بتفاصيله، وملامحه، وبيئته، ورموزه الماضويّة الضّائعة، مشيرًا بذلك إلى التّحوّلات الّتي طرأت على ملامح المكان، هذا وركّز الشّعراء على معاناة المدينة الرّازحة تحت وطأة الاحتلال. وقد ظهر المكان مقترنًا بذكريات الشّاعر، أو بأحداث تاريخيّة، أو بشخصيّات تاريخيّة وتراثيّة مرتبطة به، مثل: عمر بن الخطّاب، نابليون بونابرت، صلاح الدّين الأيّوبيّ، وغيرها، وفي ذلك محاولة لإثبات تجذّر الشّاعر بالمكان. وقد اقترن هذه الاستحضار، أيضًا، بمشاعر الحزن والأسى أحيانًا، كما نجد في قصيدة "لاجئة" لكلثوم عرابيّ، أو بهاجس العودة أحيانًا أخرى، كما ظهر عند فدوى طوقان في قصيدتها "نداء الأرض"، أو حتّى باليأس والاستسلام في بعض الأحيان، كما نجد في قصيدة "يافا" لمحمود نديم الأفغانيّ.[3]

---

1 عبّاس، **اتّجاهات**، 112.

2 صلاح عبد الصّبور، **الإبحار في الذّاكرة**، (مصر: مكتبة مدبولي، 1979)، 39.

3 سمير الحاجّ، **يافا: بيّارة العطر والشّعر**، (بيروت: المؤسّسة العربيّة للدّراسات والنّشر، 2004)، 19-45.

The Wings = أجنحة الحلم المنطلقة إلى مدن الخيال الواقعية : رؤى المدينة المحلية في أشعار محمود درويش
آثار حاج يحيى
Al Manhal Platform Collections (https://platform.almanhal.com) - 09/09/2025 User: @ House of Wisdom
Copyright © Al-Qasemi Arabic Language Academy : Al-Qasemi College of Education. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/106221

المدينة المحلّيّة كما تتجلّى في أشعار محمود درويش[1]:

القصيدة الدّرويشيّة- سمات أساسيّة:

1 وُلد محمود درويش عام 1941 في قرية البروة، وقد رحل عن قريته مع أسرته عام 1948، وحينها كان في السّابعة من عمره، فوجد نفسه مع عشرات آلاف اللّاجئين الفلسطينيّين في جنوب لبنان، وهناك تنقّل مع عائلته في عدد من المدن والقرى حتّى استقرّوا في مدينة بيروت. وبعد عام واحد من اللّجوء، عاد درويش مع عائلته "متسلّلاً" إلى موطنه، فاكتشف أنّ قريته لم تعد موجودة، فقد هُدّمت وأُقيم مكانها قرية إسرائيليّة زراعيّة اسمها "احيهود" (אח יהוד). عاش الشّاعر مع عائلته في قرية دير الأسد في الشّمال، ثمّ انتقلت العائلة إلى قرية الجديدة، وامتلكت فيها بيتًا، أمّا محمود فقد قضى فترة شبابه في حيفا، وبقي فيها عشر سنوات أنهى فيها دراسته الثّانويّة، واسترجع هويّته، كما وانتسب إلى الحزب الشّيوعيّ الإسرائيليّ، وعمل في صحافة الحزب مثل صحيفة **الاتّحاد** ومجلّة **الجديد**، والّتي أصبح، فيما بعد، مشرفًا على تحريرها. وخلال إقامته في إسرائيل، أُتّهم بقيام نشاط معادٍ لدولة إسرائيل، وذلك بسبب تصريحاته ونشاطه السّياسيّ، فطُورد وأُعتقل خمس مرّات، وفُرضت عليه الإقامة الجبريّة حتّى عام 1970، وفي هذا العام، غادر درويش أرض موطنه لينتقل إلى الاتّحاد السّوفييتيّ للدّراسة، وأقام في موسكو مدّة سنة. ومن ثمّ انتقل إلى القاهرة، وقابل هناك بعض الشّخصيّات الأدبيّة والثّقافيّة، والّتي توطّدت علاقته معهم، وقد عيّنه الكاتب والصّحفيّ محمّد حسنين هيكل في نادي كتّاب **الأهرام**. وبعد القاهرة انتقل الشّاعر إلى بيروت، وعاش فيها من العام 1973 إلى عام 1982، إذ ترأّس "مركز الأبحاث الفلسطينيّة" التّابع لمنظّمة التّحرير، وشغل منصب رئيس "رابطة الكتّاب والصحافيّين الفلسطينيّين"، وأسّس مجلّة **الكرمل** الثّقافيّة. وفي عام 1982 تفاقمت الحرب الأهليّة في لبنان، واحتلّت القوات الإسرائيليّة بيروت، فهرب الشّاعر إلى سورية، ومن ثمّ إلى تونس. وفي تونس التقى درويش بالرّئيس الفلسطينيّ الرّاحل ياسر عرفات، وطلب منه الأخير أن يواصل إصدار مجلّة **الكرمل**، فذهب درويش إلى قبرص، وأصدر **الكرمل** من هناك، وفي ذلك الوقت أقام الشّاعر في باريس وعمل في تحرير مجلّة **الكرمل**، الّتي كانت تطبع في نيقوسيا. عاش محمود في باريس بشكل متقطّع نحو عشر سنوات، إذ كان يسافر باستمرار، وبقي قريبًا من منظّمة التّحرير في تونس، وفي باريس كتب مقالًا أسبوعيًّا في مجلّة **اليوم السّابع**. وأخيرًا قرّر الشّاعر العودة إلى أرض وطنه، وقد سمحت له الجهات الإسرائيليّة أن يقيم في مدينة رام الله، فأمضى بقيّة حياته متنقّلًا بين رام الله وعمّان. تُوفي محمود درويش في الولايات المتّحدة الأمريكيّة عام 2008، بعد إجراء عمليّة القلب المفتوح، الّتي دخل بعدها في غيبوبة أدّت إلى وفاته، ووري جثمانه الثّرى في مدينة رام الله. راجع: مهنّد عبد الحميد، **محمود درويش: سنكون يومًا ما نريد** (السّلطة الوطنيّة الفلسطينيّة: وزارة الثّقافة، 2008) 13-20، 56؛ ميشال سعادة، **محمود درويش: عصيّ على النّسيان** (بيروت: رياض الرّيّس للكتب والنّشر، 2009)41-43؛ فهد عاشور، **التّكرار في شعر محمود درويش** (بيروت: المؤسّسة العربيّة للدّراسات والنّشر، 2004) 15-16؛ عبد عون الرّضوان، **الشّعراء العرب في القرن العشرين: في حياتهم شعرهم آثارهم** (عمّان: الأهليّة للنّشر والتّوزيع، 2005)، 480؛ معاذ السّرطاويّ، **مختارات من الشّعر العربيّ الحديث: دراسة وتحليل**، (عمّان: دار المستقبل للنّشر والتّوزيع، 1989) 105-106؛

Julia Meisami, *Encyclopedia of Arabic Literature* (London and New York: Routledge, 1998) 183-184; Salma Jayyusi, *Anthology of Modern Palestinian Literature* (New York: Columbia, 1992) 145; Salma Jayyusi, *Modern Arabic Poetry: An Anthology* (New York: Columbia University Press, 1987) 200; John Asfour , *When the words Burn: An Anthology of Modern Arabic Poetry 1945*-1987 (Canada: Cormorant, 1992) 208.

The Wings = أجنحة الحلم المنطلقة إلى مدن الخيال الواقعية : رؤى المدينة المحلية في أشعار محمود درويش
آثار حاج يحيى
Al Manhal Platform Collections (https://platform.almanhal.com) - 09/09/2025 User: @ House of Wisdom
Copyright © Al-Qasemi Arabic Language Academy : Al-Qasemi College of Education. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/106221

يمثّل محمود درويش امتدادًا للمشهد الشّعريّ الفلسطينيّ، فحين يُذكر الشّعر الفلسطينيّ نتذكّر، وبصورة تلقائيّة، الشّاعر الرّاحل محمود درويش، الّذي يلقَّب ب"شاعر الأرض المحتلّة" و"شاعر المقاومة"،[1] نظرًا لارتباط شعره بالقضيّة الفلسطينيّة ارتباطًا عميقًا.[2] حاز الشّاعر محمود درويش على مكانة مرموقة في حركة الشّعر العربيّ الحديث،[3] ويعود ذلك، على حدّ تعبير النّاقد شوقي بزيع، إلى إخلاص الشّاعر لقضيّة الشّعر، واعتبارها القضيّة المركزيّة في حياته، فهو واحد من الشّعراء القلائل الّذين عملوا على تطوير أنفسهم، وتطوير القصيدة العربيّة، وتنقيتها من شوائب النّمطيّة وفقر الدّمّ واللّغو المجانيّ.[4] وقد تأثّر درويش بشعراء عرب قدماء، فضمّن أشعاره سيرتهم، من بينهم: امرؤ القيس، أبو فراس الحمدانيّ، والمتنبّي، إلّا أنّ المتنبّي كان شاعره المفضّل، اتّكأ عليه في بناء قصيدته في كثير من الأحيان. ولم يقتصر تأثّره بالشّعر القديم، وإنّما تأثّر، أيضًا، بأعلام الشّعر العربيّ المعاصر كالسّيّاب، والملائكة، وحاوي، وقبّاني، والبياتيّ. هذا بالإضافة إلى تأثّره بشعراء غربيّين مثل توماس إليوت، فدريكو لوركا، وغيرهم.

صدرت للشّاعر دواوين عديدة، تُرجمت إلى أكثر من عشرين لغة، أذكر منها: **عصافير بلا أجنحة** (1960)، **أوراق الزيتون** (1964)، **عاشق من فلسطين** (1966)، **آخر الليل** (1967)، **العصافير تموت في الجليل** (1969)، **حبيبتي تنهض من نومها** (1970)، **أحبّك أو لا أحبّك** (1972)، **محاولة رقم 7** (1973)، **تلك صورتها وهذا انتحار العاشق** (1975)، **أعراس** (1977)، **مديح الظّلّ العالي** (1983)، **حصار لمدائح البحر** (1984)، **هي أغنية،**

---

1 عادل الفريجات، **بحوث ورؤى في النّقد والأدب** (دمشق: دار المركز الثّقافيّ للطّباعة والنّشر والتّوزيع،2007) 105.

2 إلعاد، عامي. "البحث عن الهوية: رصد أدب العرب في إسرائيل." **ألفاييم** (ألفين). 11 (1995): 173-239.

Bassam Frangieh, "Modern Arabic Poetry: Vision and Reality". *Tradition, Modernity, and Postmodernity in Arabic Literature*. Leiden- Boston-Koln: Brill, 2000. pp. 221-249.

3 عطا أبو جبين، **شعراء الجيل الغاضب** (عمّان: دار المسيرة للنّشر والتّوزيع والطّباعة، 2004) 189. وقد حظي الشّاعر محمود درويش باهتمام جماهيريّ عربيّ كبير بشعره وبأمسياته الشّعريّة وبقصائده المغنّاة. ومن المغنّين الّذين غنّوا لمحمود درويش، أذكر: مرسيل خليفة، ماجدة الرّوميّ وأصالة نصري. راجع في هذا المجال: Chalala, *Marcel*, 7,16. ويصف درويش موقع قصيدته من حركة الشّعر العربيّ الحديث قائلًا: إنّه يحاول، من خلال قصيدته، "خلق توازن بين اتّجاهين يهدّدان القصيدة العربيّة الآن، وهما السّلفيّة المغرقة في إنكار التّطوّر التّاريخيّ الّذي نعيش فيه، ومسار آخر هو مسار ما أسمّيه بالفوضى العدميّة الّتي تقترح على القصيدة بابًا واحدًا للمعاصرة، هو أن تنقطع عن تاريخها". راجع: جهاد فاضل، **أسئلة الشّعر: حوارات مع الشّعراء العرب** (د.م: الدّار العربيّة للكتاب، د.ت.)، 306.

4 شوقي بزيع، "محمود درويش أبعد من زهر اللّوز". **المستقبل** 4 (نيسان 2006)، 17-21.

The Wings = أجنحة الحلم المنطلقة إلى مدن الخيال الواقعية : رؤى المدينة المحلية في أشعار محمود درويش
آثار حاج يحيى
Al Manhal Platform Collections (https://platform.almanhal.com) - 09/09/2025 User: @ House of Wisdom
Copyright © Al-Qasemi Arabic Language Academy : Al-Qasemi College of Education. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/106221

هي أغنية (1986)، **ورد أقل** (1986)، **أرى ما أريد** (1990)، **أحد عشر كوكبًا** (1992)، **لماذا تركت الحصان وحيدًا** (1995)، **سرير الغريبة** (1999)، **جداريّة** (2000)، **حالة حصار** (2002)، **لا تعتذر عمّا فعلت** (2004)، **كزهر اللّوز أو أبعد** (2005)، وأخيرًا، **لا أريد لهذي القصيدة أن تنتهي** (2014). بالإضافة إلى ذلك، صدرت للشّاعر أعمال نثريّة تتضمّن مقالات، خواطر ورسائل، عبّر من خلالها عن أفكاره وآرائه تجاه القضايا المحيطة به.[1]

إنّ الدّارس لشعر محمود درويش يسترعيه الانتباه إلى ظاهرة النّموّ المتواصل والمستمرّ في مسيرته الشّعريّة، نموًّا لم يقف عند حدّ بعينه؛ فالدّواوين الّتي بين أيدينا، والّتي يبلغ عددها ثلاثة وعشرين ديوانًا، تعكس لنا، بصورة واضحة، تطوّر القصيدة الدّرويشيّة، شكلًا، مضمونًا ولغةً: فمن حيث الشّكل انتقل الشّاعر من القصيدة العموديّة، في بداية مسيرته الشّعريّة، إلى القصيدة الحرّة أو قصيدة التّفعيلة، وقد استحوذت الأخيرة على غالبيّة نتاجه الشّعريّ[2]؛ ومن حيث المضمون، تخفّف الشّاعر بشكل تدريجيّ من الالتزام بالقضيّة

---

1 ومن الأعمال النّثريّة التي صدرت للشّاعر، أذكر: **شيء عن الوطن** (مقالات وخواطر- 1971)، **يوميّات الحزن العاديّ** (مقالات وخواطر- 1973)، **وداعًا أيّتها الحرب.. وداعًا أيّها السلام** (مقالات- 1974)، **ذاكرة للنّسيان** (1987)، **في وصف حالتنا** (1987)، **في انتظار البرابرة** (1987)، **الرّسائل** (رسائل متبادلة بينه وبين سميح القاسم- 1989)، **عابرون في كلام عابر** (قصيدة ومقالات- 1991)، **في حضرة الغياب** (2006)، **حيرة العائد** (2007)، **أثر الفراشة** (يوميّات 2008). ورغم هذا العدد اليسير من الكتابات النّثريّة، لم يلتفت النّقّاد إلى نثر محمود درويش بصورة كافية، والحديث عن نثره يكاد يكون مغيبًا في السّاحة النّقديّة. راجع: عبد العزيز المقالح، "الشّاعر الكبير في حضرة النّثر". **القدس العربيّ** (20-21.9.2008)، 13؛ شاكر النّابلسيّ، **مجنون التّراب: دراسة في شعر وفكر محمود درويش** (بيروت: المؤسّسة العربيّة للدّراسات والنّشر، 2004) 5-7؛ Gonzalez-Quijano, *Writing*, 183-192. إنّ ما يفسّر وفرة الإنتاج الفنّيّ للشّاعر، سواء الشّعريّ أو النّثريّ، هو أنّ الشّاعر كان قد بدأ بالكتابة في جيل مبكر، ففي التّاسعة عشرة نشر درويش ديوانه الأوّل **عصافير بلا أجنحة** (1960)، ثمّ استمرّ في الكتابة وإصدار الكتب حتّى يومه الأخير، وقد نُشر ديوانه الأخير، **لا أريد لهذي القصيدة أن تنتهي** (2014)، بعد وفاته.

2 هنالك من يرى أنّ الشّاعر قد جرّب كتابة قصيدة النّثر رغم أنّه لم يصرّح بذلك، ورغم نفيه لأن يكون قد كتب قصائد نثريّة، ففي مطوّلته "مزامير" نلاحظ أنّ غالبيّة المقاطع جاءت غير موزونة إلى جانب المقاطع الموزونة، كذلك نجد في تجربته "في حضرة الغياب" الّتي سمّاها "نصًّا"، والّتي تضمّنت قصائد موزونة وأخرى غير موزونة، كذلك في تجربة "أثر الفراشة" الّتي سمّاها "يوميّات" رغم أنّها لا تحمل ميزات اليوميّات بالمعنى الإصطلاحيّ، فهي نصوص شعريّة بعضها موزون والبعض الآخر غير موزون، من هنا يرى بعض النّقاد، كسليمان جبران وأمجد ناصر، أنّ درويش جرّب كتابة القصيدة النّثريّة دون أن يصرّح بذلك، خاصّة في ظلّ آرائه المعادية لقصيدة النّثر، في حين ينفي البعض الآخر، كحسين أبي حمزة على سبيل المثال، أيّة إمكانيّة لأن يكون درويش قد كتب قصيدة النّثر، لأنّ الشّاعر لم يسمّ التّجارب السّابقة قصائد نثر، ولو=

The Wings = أجنحة الحلم المنطلقة إلى مدن الخيال الواقعية : رؤى المدينة المحلية في أشعار محمود درويش
آثار حاج يحيى
Al Manhal Platform Collections (https://platform.almanhal.com) - 09/09/2025 User: @ House of Wisdom
Copyright © Al-Qasemi Arabic Language Academy : Al-Qasemi College of Education. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/106221

الوطنيّة (خاصّة عندما غادر أرض وطنه) ملتفتًا إلى المضامين الإنسانيّة العامّة وتفاصيل الحياة اليوميّة إلى جانب القضيّة الوطنيّة؛ أمّا من حيث الأسلوب، فمن الملاحظ أنّ درويش انتقل بأسلوبه تدريجيًّا من المباشرة والبساطة والتّصريحيّة، إلى الإيحائيّة والكثافة والغموض الدّلاليّ،[1] "فبعد أن كانت قصائده تُتلى في كثير من المناسبات، ويسبق بها الجمهور شاعره في إنشادها في بعض أماسيه الشّعريّة، صارت وقفًا على الخاصّة [...] ففي هذه المرحلة، كما يقول فخري صالح 'تصبح قصائد درويش أكثر صفاءً وتتخلّص إلى حدّ كبير من تراكم الصّور الشّعريّة وفائض اللّغة، الّذي نقع عليه في القصيدة العربيّة المعاصرة، وهو يهيّئ لانعطافة حاسمة في شكل قصيدته وصوره الشّعريّة'".[2]

=أراد لفعل ذلك. راجع: سليمان جبران، "نظم كأنّه نثر: التباس الحوار بين محمود درويش وقصيدة النّثر". **الحوار المتمدّن** (19-5-2010)؛ محمود مرعي، **التّجريب وتحوّلات الإيقاع في شعر محمود درويش** (باقة الغربيّة: مجمع القاسميّ للّغة العربيّة، 2012)؛ أمجد ناصر، "محمود درويش وقصيدة النّثر". **الكرمل** (ع 90، 25.3.2009)؛ حسين بن حمزة، "محمود وقصيدة النّثر... 'أحبّك أو لا أحبّك'". **الحوار المتمدّن** (ع 2734، 10.8.2009). صبحي الحديديّ، "محمود درويش وقصيدة النّثر". **الحوار المتمدّن** (ع 1699، 10.10.2006).

1 فسّر الشّاعر التّجدّد الدّائم لإبداعه قائلًا: "أنا من الشّعراء الّذين لا يحتاجون إلى نقّاد لكي يدمروهم [...] أنا كفيل بتدمير نفسي والتّمرّد عليها". وما نلمسه من هذا الكلام هو رغبة الشّاعر في عدم التّكرار، التّجدّد والانقلاب على الذّات، وهذه الرّغبة هي أحد معالم النّشاط الشّعريّ لدرويش، الّذي يقول عن نفسه: "أنا شديد السّأم لما أنتجه [...] وعندما أقرأ جديدًا كتبته وأرى أنه يشبهني كثيرًا أشعر بأنّه لا يصلح للنّشر [...] يجب أن أشعر أنّ من كتبه هو شخص آخر وليس نسخة عمّا كتبت. وهذه الرّغبة الذّاتيّة بعدم الرّضا عن الذّات، وعن المنجز هي الّتي تعطي لدرويش الحافز المستمر لكي أجدّد أشكالي التّعبيريّة وإيقاعي الشّعريّ، وحتّى الموضوعات الشّعريّة نفسها". راجع: عاشور، **التّكرار**، 12. وفي مناسبة أخرى يذكر الشّاعر موقفه من إبداع الشّعر، فيقول: "لكنّني أعاني من أزمة الثّقة بالنّفس، وأغبط الشّعراء السّعداء بكمالهم، فأنا دومًا أندم على أنّني طبعت كتبي، وأتمنّى لو أنّه الآن صدر ديواني الأوّل كي أبيد ما أريد [...] ما هي أداة القياس الّتي تدلّنا على أنّ الممكن الشّعريّ صار فعلًا شعرًا؟ عندما أعرف أنّي مؤلّف النّصّ من أوّل نظرة، عندما أتعرّف على شبيهي فيما أكتب، أدرك أنّ النّصّ مكرّر، أي رديء. ولكن عندما أفاجأ بالنّصّ وأسأل نفسي من كتب هذا؟ وأظنّ أنّ كاتبه شخص آخر، أعتبر أنّه نصّ جيّد وأنّني أضفت جديدًا". راجع: الفريجات، **بحوث**، 206-207.

2 الفريجات، **بحوث**، 210-211. يقسّم بعض الباحثين والنّقّاد مسيرة درويش الشّعريّة إلى مراحل مختلفة، ممّا يشير إلى تغيّر التّجربة الشّعريّة عند الشّاعر، وتطوّرها عبر محطّات زمنيّة مختلفة. ولا تعتمد هذه التّقسيمات على المضامين الشّعريّة فحسب، بل تعتمد كذلك على الشّكل الخارجيّ للقصيدة، اللّغة والأساليب الشّعريّة. وعلى الرّغم من اختلاف المسمّيات الّتي يعطيها كلّ باحث كعناوين للمراحل المختلفة، فإنّ هذه التّقسيمات تتشابه بجوهرها، فهي تعتمد بالأساس على علاقة الشّاعر بالوطن/المنفى، راجع على سبيل المثال: نادي الدّيك، **جراحات حيفا.. عذابات الكرمل: الشّكل والمضمون في شعر محمود**=

The Wings = أجنحة الحلم المنطلقة إلى مدن الخيال الواقعية : رؤى المدينة المحلية في أشعار محمود درويش
إثار حاج يحيى
Al Manhal Platform Collections (https://platform.almanhal.com) - 09/09/2025 User: @ House of Wisdom
Copyright © Al-Qasemi Arabic Language Academy : Al-Qasemi College of Education. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/106221

المدينة في شعر محمود درويش:

تنتقل الدّراسة في هذا الفصل من الجانب النّظريّ إلى الجانب التّطبيقيّ، حيث ستتمّ دراسة موضوع المدينة في أشعار محمود درويش، وسيكون التّركيز بشكل خاصّ على المدينة الفلسطينيّة المحلّيّة الّتي وصفها الشّاعر في أشعاره، أو عبّر عن علاقته بها، أو موقفه تجاهها. تتناول هذه الدّراسة جميع الدّواوين الشّعريّة للشّاعر محمود درويش، باستثناء الدّيوان الأوّل **عصافير بلا أجنحة** (1960)،[1] وهي اثنان وعشرون ديوانًا،[2] ابتداءً من ديوان **أوراق الزّيتون** (1964) وصولًا إلى الدّيوان الأخير **لا أريد لهذي القصيدة أن تنتهي** (2014). وتقوم هذه الدّراسة على رصد أسماء مدن محليّة محدّدة ذكرها الشّاعر في دواوينه، مثل: حيفا، يافا، عكّا، القدس، أريحا وغيرها أو رصد لفظة المدينة أو المدن غير المحدّدة، وذلك لتحديد علاقة الشّاعر بعالم المدينة.

=**درويش** (عكّا: مؤسّسة الأسوار، 2003) 28؛ ناصر علي، **بنية القصيدة في شعر محمود درويش** (عمّان: وزارة الثّقافة، 2002) 22-92؛ سحر سامي، **أكثر من سماء: تنوّع المصادر الدّينيّة في شعر محمود درويش** (القاهرة: مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان، 2001) 66-75؛ محمّد أبو حميدة، **الخطاب الشّعريّ عند محمود درويش: دراسة أسلوبيّة** (غزّة: مطبعة المقداد، 2000) 330-348؛ صقر أبو فخر، "درويش وبيروت: الخيمة والغيمة والنّجمة". **محمود درويش عصيّ على النّسيان** (بيروت: رياض الرّيّس للكتب والنّشر، 2009) 51-53. وفي هذا السّياق تجدر بي الإشارة إلى أنّ قضيّة التّغيّر والتّطوّر في المسيرة الشّعريّة للشّاعر، أيٍّ كان، هي قضية عامّة، بمعنى أنّ هذه القضية تنطبق على أغلب الشّعراء، ولا يمكننا أن نتحدّث عن شعر ثابت ومستقرّ لدى شاعر معيّن، فالشّاعر ينتمي إلى محيطه وبيئته، وهذه البيئة تتغيّر بتطوّر الحياة الاجتماعيّة والثّقافيّة لدى الشّعوب، ومن البديهيّ أن يعكس الشّاعر هذه التّطوّرات داخل قصيدته. راجع: سامي، **أكثر من سماء**، 16. للتّوسّع في موضوع التّطوّرات والتّحوّلات الّتي طرأت على القصيدة الدّرويشيّة من ناحية المبنى، المضمون والأسلوب، راجع: آثار حاج يحيى، **الصّورة الشّعريّة في شعر محمود درويش وأمجد ناصر: ملامحها وتطوّرها** (رمات جان: جامعة بار-إيلان، 2013) 102-108.

1 لقد قمت باستثناء الدّيوان الأوّل **عصافير بلا أجنحة** (1960) من هذه الدّراسة، لأنّ الشّاعر كتبه في فترة مبكّرة، وقد تعمّد عدم إدراجه في المجموعة الكاملة، ولم يقبل أن يُطبع ثانيةً، باعتباره محطّة أولى تجريبيّة وبدائيّة لكتابة الشّعر حسب رأيه. وفي هذا المجال يقول: "لا أخجل من طفولتي الشّعريّة. ولكنّ الطّفولة شيء، والمراهقة شيء آخر. وهذا هو المبرّر الوحيد لإقدامي على قطع بعض من أجزاء جسدي الشّعريّ. فما دام الشّاعر حيًّا، فمن حقّه أن يكون المشرف على شعره. ليس صحيحًا أنّ كلّ ما يقوله الشّاعر وثيقة. كل شاعر يرتكب كثيرًا من الحماقات". راجع: فاروق مواسي، **محمود درويش: قراءات في شعره** (كفر قرع: دار الهدى، 2001)، 33.

2 راجع أسماء الدّواوين في الصّفحة التّاسعة من هذه الدّراسة.

The Wings = أجنحة الحلم المنطلقة إلى مدن الخيال الواقعية : رؤى المدينة المحلية في أشعار محمود درويش
آثار حاج يحيى
Al Manhal Platform Collections (https://platform.almanhal.com) - 09/09/2025 User: @ House of Wisdom
Copyright © Al-Qasemi Arabic Language Academy : Al-Qasemi College of Education. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/106221

ومن الملاحظ أنّ موضوع المدينة له حضور بارز ومكثّف في أشعار محمود درويش، فقد عبّر الشّاعر عن علاقته بالمدن المحلّيّة بأسلوب تصريحيّ أحيانًا، وإيحائيّ أحيانًا أخرى.[1] ولعلّ تنقّل الشّاعر بين المدن والبلدان المختلفة، المحليّة والإقليميّة، العربيّة والغربيّة، على حدّ سواء، جعله يتّخذ موقفًا واضحًا وصريحًا من عالم المدينة، وبالتّالي يعبّر عنه من خلال أشعاره، فهو النّازح عن قرية البروة، اللّاجئ في جنوب لبنان، السّاكن في دير الأسد والبعنة والجديدة، الدّارس في كفر ياسيف، النّاشئ في حيفا، المسافر إلى موسكو ومصر وباريس، النّاشر في بيروت والخارج منها، المتنقّل بين رام الله وعمّان، والمتوفى في هيوستن.[2]

أمّا المدن أو القرى المحليّة الّتي ذكرها درويش في دواوينه، وهي مرتّبة حسب نسبة تكرارها، ابتداءً بالأكثر تكرارًا، وانتهاءً بالأقلّ تكرارًا، فهي: المدينة/ المدن، القدس- أورشليم، أريحا، يافا، سدوم، كفر قاسم، عكّا، حيفا، غزّة، اللّد، الرّملة، النّاصرة، الخليل، رام الله وصفد. ومن الملاحظ أنّ أكبر نسبة تكرار هو لكلمة المدينة أو المدن، دون تحديد اسم المدينة، والاكتفاء بالتّعبير عن عالم المدينة بشكل عامّ؛ أمّا المدن المحليّة الّتي احتلّت أكبر نسبة ظهور في أشعار درويش، فهي مدينة القدس، والّتي أشار إليها في بعض الأحيان باسمها العبريّ أورشليم، تليها أريحا، يافا فسدوم.[3]

---

1 أحيانًا يقوم الشّاعر بالإشارة إلى قريته أو مدينه أو وطنه من خلال التّلميح والإيحاء لا التّصريح المباشر، فيذكر رموز مختلفة تحمل هذه الدّلالات، مثل رمز الشّام أو الأندلس أو غرناطة أو غيرها، فإذا أخذنا رمز الأندلس على سبيل المثال لا الحصر نلاحظ أنّه يحمل دلالة الفردوس المفقود الّذي ضيّعه المسلمون بخروجهم الأخير من غرناطة، وهذا الرّمز يحمل مشاعر اليأس، والفقدان، والخسارة الكبيرة، والهزيمة، ويشير في كثير من الأحيان إلى قرية الشّاعر الّتي خسرها، أو مدينته، أو مكانه الأوّل الّذي يحنّ إليه ويبكي على أطلاله، وقد برز رمز الأندلس، والأماكن المرتبطة به كغرناطة، وقرطبة، وبرشلونة، في ديوان **أحد عشر كوكبًا** (1992)؛ ففي القصيدة الأولى "أحد عشر كوكبًا على آخر المشهد الأندلسيّ" يصف الشّاعر خروجه من المكان دون أن يودّعه، ويتحسّر على تفاصيله الّتي تركها وراءه ليأخذها الزّوّار الجدد: "فالمكان يبدّل أحلامنا ويبدّل زوّاره [...] وسنسأل أنفسنا في النّهاية: هل كانت الأندلس ههنا أو هناك؟ على الأرض ... أم في القصيدة؟". راجع: محمود درويش، **ديوان محمود درويش** (مج2، بيروت: دار العودة، 1994) 476.

2 بالإضافة إلى المدن المحليّة، هنالك أسماء مدن غير محليّة، عربيّة وغربيّة، حقيقيّة وتاريخيّة، ذكرها درويش في قصائده، أمّا المدن العربيّة غير المحليّة المذكورة في أشعاره، فهي: بيروت، دمشق، بغداد، القاهرة، حلب، عمّان، مكّة، عدن، قرطاج، بعلبك، فاس والإسكندريّة. هذا بالإضافة إلى المدن غير العربيّة المذكورة في هذه الأشعار، وهي: روما، أثينا، نيويورك، مدريد، باريس، لندن، موسكو، هيروشيما ونيقوسيا. أمّا المدن التّاريخيّة أو تلك الّتي تحمل دلالات تاريخيّة، والّتي ذكرها الشّاعر في قصائده، فهي: اسبرطة، نهاود، سمرقند، قرطبة، برشلونة، غرناطة، طروادة، قيروان والفسطاط.

3 وقد اقترن موضوع المدينة في أشعار درويش بكلمات مأخوذة من الحقل الدّلاليّ الخاصّ بالمدينة، نذكر منها: الميناء، الشّارع، الإسفلت، الشّبابيك، الفنادق، القطار، المطار، الرّصيف، الغرف، النّوافذ، الحارة، الأزقّة،=

The Wings = أجنحة الحلم المنطلقة إلى مدن الخيال الواقعية : رؤى المدينة المحلية في أشعار محمود درويش
إثار حاج يحيى
Al Manhal Platform Collections (https://platform.almanhal.com) - 09/09/2025 User: @ House of Wisdom
Copyright © Al-Qasemi Arabic Language Academy : Al-Qasemi College of Education. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/106221

وبالنّظر إلى عناوين القصائد، نلاحظ أنّ الشّاعر ذكر أسماء مدن محليّة في بعض العناوين، هذه العناوين هي: "تحت الشّبابيك العتيقة: إلى مدينة القدس" (**آخر اللّيل**- 1967)، "امرأة جميلة في سدوم" (**العصافير تموت في الجليل**- 1969)، "عائد إلى يافا" (**أحبّك أو لا أحبّك**- 1972)، "حجر كنعانيّ في البحر الميّت" (**أحد عشر كوكبًا**- 1992)، "غيمة من سدوم" (**سرير الغريبة**- 1999)، "في القدس" (**لا تعتذر عمّا فعلت**- 2004)، "في رام الله" (**لا أريد لهذي القصيدة أن تنتهي**- 2014). هذا بالإضافة إلى العناوين الّتي وظّف بها الشّاعر لفظة المدينة، وهي: "قاع المدينة" (**العصافير تموت في الجليل**- 1969)، "غريب في مدينة بعيدة" (**العصافير تموت في الجليل**- 1969)، "المدينة المحتلّة" (**أحبّك أو لا أحبّك**- 1972)، "تأمّلات سريعة في مدينة قديمة وجميلة على ساحل البحر الأبيض المتوسّط" (**حصار لمدائح البحر**- 1984). أمّا عناوين الدّواوين فهي خالية من الإشارات إلى أسماء المدن.[1]

علاقة الشّاعر بعالم المدينة:

إنّ العلاقة الّتي تربط الشّاعر بعالم المدينة هي علاقة روحانيّة قويّة، إذ يصوّر الشّاعر المدينة بصورة المحبوبة أو المعشوقة أو الأمّ، ممّا يمنحها طابعًا مقدّسًا، ولأنّ الشّاعر فقد المدينة نجده يحنّ إليها ويبكي على أطلالها المندثرة، وكثيرًا ما ترتبط المدينة عنده برمز الأندلس وحادثة خروج العرب والمسلمين من الأندلس، لما تحمله

=العلب المعدنيّة، الشّاحنات، السّطوح، الأسواق، المطاعم، الضّواحي، الممرّات، الإسمنت، وغيرها. ومن الملفت للانتباه أنّ لفظة المدينة عند درويش غير منسوبة إلى الذّات المتكلّمة، أي أنّها غير مقترنة بضمير المتكلّم المفرد، أو بضمير جماعة المتكلّمين، وذلك خلافًا لما نجده عند كثير من الشّعراء العرب، فقد أشار النّاقد إحسان عبّاس في تطرّقه لموضوع المدينة في الشّعر العربيّ المعاصر إلى أنّ الشّاعر العربيّ غالبًا ما تحدّث عن المدينة بعد نسبها إليه من خلال ياء الإضافة، كقوله "مدينتي"، وفي هذه الصّيغة تعبير عن النّفور والحبّ في ذات الوقت، حسب أقوال النّاقد. راجع: عبّاس، **اتّجاهات**، 94. وربّما لم ينسب درويش كلمة مدينة لياء المتكلّم تعبيرًا عن قضيّة تغيير ملامح المدينة الّتي ألفها والّتي تغيّرت وتبدّلت بعد قيام دولة إسرائيل، فالمدينة الّتي يشاهدها الآن غريبة عنه، ومختلفة عن مدينة الأمس، فقد تغيّر سكّانها وتبدّلت ملامحها، وربّما زالت الآثار المرتبطة بوجود أبناء الشّعب الفلسطينيّ فيها.

1 بالإضافة إلى عناوين القصائد الّتي تحمل كلمة المدينة أو أسماء المدن المحليّة وظّف الشّاعر في بعض العناوين أسماء مدن غير محليّة، عربيّة وغربيّة، تاريخيّة وحقيقيّة، هذه العناوين هي: "طريق دمشق" (**محاولة رقم 7**- 1973)، "حوار شخصيّ في سمرقند" (**حصار لمدائح البحر**- 1984)، "الحوار الأخير في باريس" (**حصار لمدائح البحر**- 1984)، "اللّقاء الأخير في روما" (**حصار لمدائح البحر**- 1984)، "قصيدة بيروت" (**حصار لمدائح البحر**- 1984)، "مطار أثينا" (**ورد أقلّ**- 1986)، "ذهبنا إلى عدن" (**ورد أقلّ**- 1986)، "أحد عشر كوكبًا على آخر المشهد الأندلسيّ" (**أحد عشر كوكبًا**- 1992)، "شكرًا لتونس" (**لا تعتذر عمّا فعلت**- 2004).

The Wings = أجنحة الحلم المنطلقة إلى مدن الخيال الواقعية : رؤى المدينة المحلية في أشعار محمود درويش
آثار حاج يحيى
Al Manhal Platform Collections (https://platform.almanhal.com) - 09/09/2025 User: @ House of Wisdom
Copyright © Al-Qasemi Arabic Language Academy : Al-Qasemi College of Education. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/106221

من دلالات الخسارة والضّياع. وبالرّغم من أنّ المدينة مرتبطة بمشاعر الحزن والأسى والفقـدان، إلّا أنّـه لم يعـبّر عن اليأس أو الاستسلام، بل يربط خلاص المدينة بفعل المقاومـة، والثّـورة، والتّضـحية، والفـداء، لـذلك يلقّـب درويش بشاعر المقاومة، إلى جانب كلّ من الشّاعرين سميح القاسم وتوفيق زيّاد. إنّ تجربة المنـافي والشّـتات والتّهجير جعلت الشّاعر يتمسّك بمدينته الضّائعة، باعتبارها مركّبًـا أساسـيًّا مـن مركّبـات الهويّـة، وقـد حـاول الشّاعر تعويض خسـارة المدينـة مـن خـلال استحضـارها بتفاصـيلها، وملامحهـا، وبيئتهـا، ورموزهـا الماضـويّة، وذكرياته فيها، فهي مدينة مستعصِية على المحو، والنّسيان، والتّلاشي، وذلك لإثبات حقّـه ووجـوده التّـاريخيّ، خاصّة في ظلّ محاولات تهويدها وأسرلتها من خلال تغيـير ملامحهـا، وطمـس هويّتهـا الفلسـطينيّة، وتغييـب أسمائها العربيّة. يقول الشّاعر في قصيدة "قاع المدينة" من ديوان **العصافير تموت في الجليل** (1969):

”تنفجرين الآن برقوقًا

وأنفجر اعترافًا جارحًا بالحبّ:

لولا الموت

كنتِ حجارة سوداء

كنتِ يدًا محنّطة نحيلة

لا لون للجدران،

لولا قطرة الدّم

لا ملامح للدّروب المستطيلة

[...]

شكرًا- صليب مدينتي

شكرًا..

لقد علّمتنا لون القرنفل والبطولة

يا جسرنا الممتدّ من فرح الطّفولة-

يا صليب- إلى الكهولةْ

الآن،

نكتشف المدينة فيكَ

أجنحة الحلم المنطلقة إلى مدن الخيال الواقعية : رؤى المدينة المحلية في أشعار محمود درويش = The Wings
آثار حاج يحيى
Al Manhal Platform Collections (https://platform.almanhal.com) - 09/09/2025 User: @ House of Wisdom
Copyright © Al-Qasemi Arabic Language Academy : Al-Qasemi College of Education. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/106221

آهٍ... يا مدينتنا الجميلة"[1]

تشير لفظة "القاع" الموظّفة في عنوان القصيدة أعلاه إلى عمق المأساة الّتي حلّت بالمدينة في ظلّ الاحتلال، ويستهلّ الشّاعر قصيدته بالفعل "تنفجّرين"، للإشارة إلى الحروب الدّامية، والموت، والدّمار النّاتج عن عمليّة الانفجار، خاصّة إذا ما ربطنا دلالة الفعل "تنفجرين" بدلالة "البرقوق"، وهي ثمرة يوحي لونها الأحمر بلون الدّماء المسكوبة في المدينة دفاعًا عنها. وقد جاء الفعل "تنفجرين" في صيغة المضارع للدّلالة على استمراريّة المأساة والمعاناة النّاتجة عن القتل والدّمار في عالم المدينة. ومقابل هذه الحروب الدّامية في المدينة هنالك حروب أخرى وانفجارات أخرى عاطفيّة تحصل داخل وجدان الشّاعر نتيجة تعلّقه بالمدينة وحبّه الشّديد لها، ممّا يؤكّد أنّ علاقة الشّاعر بالمدينة علاقة ايجابيّة، بل ومقدّسة، وقد لمسنا من خلال القصيدة نبرة العاشق الّذي يخاطب محبوبته "أنفجر اعترافًا جارحًا بالحبّ"، ويبرز ذلك من خلال مناداته لها في نهاية القصيدة "يا مدينتنا الجميلة". كما ويشير الشّاعر من خلال هذه القصيدة إلى فعل التّضحية والفداء، وهي التّضحية بالنّفس في سبيل الحفاظ على المدينة وملامحها، فهذه التّضحية "قطرة الدّم" هي الّتي أنقذت المدينة من كونها "حجارة سوداء"، أو "يدًا نحيلة"، كما وحافظت على ملامحها من الاندثار "لا ملامح للدّروب المستطيلة"، وقد وظّف الشّاعر رمزًا دينيًّا يحمل دلالة التّضحية والفداء، ألا وهو رمز الصّليب، فالمدينة تسبّب المعاناة المرتبطة برمز الصّلب، غير أنّ الشّاعر يشكر صليب المدينة "شكرًا صليب مدينتي"، لأنّ هذه المعاناة قد جعلت أبناء الشّعب الفلسطينيّ أبطالًا يبذلون دماءهم "لون القرنفل والبطولة" أطفالًا وكهولًا دفاعًا عن وطنهم ومدينتهم المسلوبة، ولأنّ هذه المعاناة والدّماء، أيضًا، ستقود القضيّة الفلسطينيّة إلى الأمام.

بالإضافة إلى صورة المحبوبة الّتي يرسمها الشّاعر للمدينة، نجدة يصوّر المدينة بصورة الأمّ، وهذا ما نلاحظه في قصيدة "المدينة المحتلّة" من ديوان **أحبّك أو لا أحبّك** (1972). فالمدينة- الأمّ تحترق على مرأى من أطفالها الّذين يحتاجون إليها، وحتّى بعد قتلها أو احتراقها كانت هنالك محاولات لتغيير ملامحها وتشويه صفاتها في وعي أطفالها الّذين تركتهم خلفها، وبما أنّ المدينة مصوّرة بصورة الأمّ،[2] فإنّ فقدانها يعتبر يتمًا لأبنائها. يقول الشّاعر:

---

1 درويش، **ديوان**، مج 1، 251-253.

2 يبيّن النّاقد إحسان عبّاس أنّ الشّعراء العرب كثيرًا ما صوّروا المدينة في صورة امرأة عاهرة أو مومس تمارس البغاء والرّذيلة، وقد تكرّرت هذه الصّورة عند أدونيس، والبياتي، وحميد سعيد، وغيرهم. راجع: عبّاس، **اتّجاهات**، 91-92. بخلاف ذلك، نجد الشّاعر محمود درويش يصوّر المدينة في صورة الأمّ أو الشّهيدة أو المعشوقة، ممّا يمنحها طابعًا مقدّسًا.

The Wings = أجنحة الحلم المنطلقة إلى مدن الخيال الواقعية : رؤى المدينة المحلية في أشعار محمود درويش
آثار حاج يحيى
Al Manhal Platform Collections (https://platform.almanhal.com) - 09/09/2025 User: @ House of Wisdom
Copyright © Al-Qasemi Arabic Language Academy : Al-Qasemi College of Education. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/106221

"الطّفلة احترقت أمّها

أمامها..

[...]

أنا قتلت القمر

لأنّه قال لي: .... قال.. قال:

أمّك لا تشبه البرتقال

ولا جذوع الشّجر"[1]

هذا وركّز الشّاعر على معاناة سكّان المدينة الرّازحة تحت وطأة الاحتلال، فصوّر الحياة في المدينة على أنّها حياة كبت واضطهاد وسلب للحريّات، وقد برز في هذا المجال وصف تجربة السّجن في المدن الإسرائيليّة، خاصّة وأنّ الدّولة تعاملت مع أشعار درويش بشيء من الحساسيّة، فقد سُجن مرارًا وفُرضت عليه الإقامة الجبريّة، وذلك لما تحمله قصائده من مشاعر الثّورة، والتّمرّد، والنّضال، الأمر الّذي اعتبرته الدّولة الإسرائيليّة تحريضًا ضدّ أمنها. ومن مظاهر الكبت الّتي يعاني منها الفرد في المدينة المحتلّة، أيضًا، سلب حريّة التّنقّل بين المدن المختلفة، وإن كان الهدف البحث عن مصادر الرّزق، وذلك من خلال فرض نظام التّصاريح، والحصار، والقتل. يقول الشّاعر في قصيدة "قال المغنّي" من ديوان **عاشق من فلسطين** (1966):

"المغنّي على طريق المدينهْ

ساهر اللّحن.. كالسّهر

[...]

أبعدوا عنه سامعيهْ

والسّكارى..

وقيّدوه

ورموه في غرفة التّوقيف

شتموا أمّه، وأمّ أبيه

والمغنّي..

يتغنّى بشعر شمس الخريف

---

1 درويش، **ديوان**، مج 1، 440-441.

أجنحة الحلم المنطلقة إلى مدن الخيال الواقعية : رؤى المدينة المحلية في أشعار محمود درويش = The Wings
آثار حاج يحيى
Al Manhal Platform Collections (https://platform.almanhal.com) - 09/09/2025 User: @ House of Wisdom
Copyright © Al-Qasemi Arabic Language Academy : Al-Qasemi College of Education. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/106221

يضمّد الجرح.. بالوتر!"[1]

يحمل هذا المقطع أبعادًا ميتاشعريّة، إذ يشير الشّاعر من خلاله إلى وظيفته كشاعر، فهو المغنّي السّاهر الّذي يحمل هموم أبناء شعبه "ساهر اللّحن"، والّذي فُرِضَت عليه القيود، وكُبّلَت حرّيّته في عالم المدينة، وسّجن بسبب أشعاره "قيّدوه ورموه في غرفة التّوقيف"، وقد أُبعِد هذا المغنّي عن جمهور قرّائه "سامعيه"، وعن أولئك الّذين ينتشون لسماع أشعاره "السّكارى"، ثمّ نُكِّل به من خلال الشّتائم، علّه يرتدّ عن تمرّده وثورته في وجه الاحتلال، وقد جاء التّركيز على شتم الأمّ "شتموا أمّه" لأنّ مكانتها مقدّسة في نفوس أبنائها، وفي ذلك إشارة إلى حجم الذّل والإهانة الّتي لحقت به.[2] وبالرّغم من ذلك يتمسّك المغنّي/الشّاعر بأشعاره الّتي تبثّ روح الأمل "شمس الخريف"، وتداوي الجراح "يضمّد الجرح". وفي هذا المقطع التفات من توظيف الأفعال الماضية "أبعدو، قيّدوه، رموه..." إلى توظيف الأفعال المضارع "يتغنّى، يضمّد"، وذلك للدّلالة على استمراريّة قول الشّعر في الزّمن الحاضر والمستقبل، بالرّغم من كلّ محاولات الكبت الّتي واجهها من قبل سلطات الحكومة الإسرائيليّة.

وقد أشار الشّاعر إلى الاضطّهاد، والقمع، والقتل، وسلب الحريّات في المدينة في مقطع آخر من قصيدة "القتيل رقم 48" من ديوان **آخر اللّيل** (1967)، حيث قال:

"عندما شبّ أخوه

ومضى يبحث عن شغل بأسواق المدينة

حبسوه..

لم يكن يحمل تصريح سفر"[3]

يشير الشّاعر في المقطع أعلاه إلى حالة اضطّهاد وكبت متكرّرة في المدينة المحتلّة، فيحدّثنا عن شابّ "شبّ" يبدأ ببناء مستقبله من خلال البحث عن مصدر رزق "بأسواق المدينة"، غير أنّ الجهات الإسرائيليّة حبسته لأنّه لم "يحمل تصريح سفر"، وتشير هذه الحادثة إلى قضيّة كبت حريّة التّنقّل في المدينة المحتلّة، وتضييق الخناق على العمّال العرب من خلال فرض نظام التّصاريح. وتجدر الإشارة إلى أنّ القصيدة الّذي أُقتبس منها المقطع أعلاه، "القتيل رقم 48"، واحدة من مجموعة قصائد تصف مجزرة كفر قاسم (1956). وتشير الأحداث

---

1 درويش، **ديوان**، مج 1، 84-85.

2 في ذلك إشارة إلى سجن محمود درويش والإقامة الجبريّة الّتي فُرضت عليه مرارًا بسبب أشعاره وتصريحاته السّياسيّة.

3 درويش، **ديوان**، مج 1، 214.

The Wings = أجنحة الحلم المنطلقة إلى مدن الخيال الواقعية : رؤى المدينة المحلية في أشعار محمود درويش
آثار حاج يحيى
Al Manhal Platform Collections (https://platform.almanhal.com) - 09/09/2025 User: @ House of Wisdom
Copyright © Al-Qasemi Arabic Language Academy : Al-Qasemi College of Education. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/106221

التّاريخيّة إلى أنّ ضحايا هذه المجزرة الّتي ارتكبها حرس الحدود الإسرائيليّ كانوا في عملهم خارج القريـة بعـد أن فرضت قيادة الجيش نظام حظر التّجوّل في القرى العربيّـة، ولم يعلـم هـؤلاء العـمّال بـأمر الحظـر، وعنـد عودتهم من عملهم قام حرس الحدود بقتلهم، وقـد بلـغ عـددهم ثمانيـة وأربعـين قتـيلًا؛ و"القتيـل رقـم 48" الموصوف في المقطع أعلاه هو الضّحيّة الأخيرة من ضحايا المجزرة، ممّا يشير إلى أنّ الظّلم الّذي يلاقيـه العامـل العربيّ في المدينة المحتلّة لا يقتصر على الحدّ من حريّة التّنقّل، وفرض نظام التّصاريح، بل يتضمّن أيضًا القتـل دون اقتراف أيّ ذنب.

وإلى جانب معاناة سكّان المدينة، يصوّر الشّاعر معاناة الفلسـطينيّين المغتربـين المشـتّتين في المنـافي بعيـدًا عـن وطنهم، وهذا ما يعـبّر عنـه في قصـيدته "غريـب في مدينـة بعيـدة"[1] مـن ديـوان **العصـافير تمـوت في الجليـل** (1969)، والّتي يعبّر من خلالها عن شعوره بالاغتراب في المنفى، ويقارن بين مظـاهر الفـرح والحيـاة الجميلـة الّتي عاشها في وطنه قبل الاحتلال ومظاهر الألم والحزن والاشتياق الّتي يعيشها في المنفى بعد الاحتلال:

"عندما كنت صغيرًا

وجميلًا

كانت الوردة داري

والينابيع بحاري

صارت الوردة جرحًا

والينابيع ظمأ"[2]

إلى جانب مشاعر الغربة الّتي يحسّ بها الفلسـطينيّ في المنفـى، يصـوّر الشّـاعر الإحسـاس بالوحـدة والعزلـة، وهذا الإحساس السّلبيّ يرافق المغترب في الحياة والممات، إذ يعيش المغترب وحيدًا ويموت وحيدًا، وذلك بعـد أن "فرّت البلاد من يديه"، وبعد أن فقد أقرباءه أو أبعد عنهم، فمنهم من يعيش في المنفى، ومنهم مـن بقـي في الوطن. يقول الشّاعر في قصيدة "وتحمل عبء الفراشة" من ديوان **أعراس** (1977):

---

1 وكثـيرًا مـا تقـترن لفظـة المدينـة في أشـعار درويـش بصـفة البعـد، مـمّا يشـير إلى بعـد أبنـاء الشّـعب الفلسـطينيّ عـن وطـنهم وعـن مـدنهم الأولى وعـن بيـوتهم وقـراهم المهجّـرة، ومـن أمثلـة ذلـك قـول الشّـاعر: "يـا أيّهـا البلـد البعيـد" (درويـش 1996. ص 419)، "قُبَـل مجفّفـة عـلى المنـديل مـن دار بعيـدة" (درويـش 1996. ص 430)، "نلتـفّ بالمـدن البعيـدة والحجـار" (درويـش 1996. ص 437)، "بـلادي بعيـدة تبخّـر منّـي ثراهـا"(درويـش 1996. ص 442).

2 درويش، **ديوان**، مج 1، 277.

The Wings = أجنحة الحلم المنطلقة إلى مدن الخيال الواقعية : رؤى المدينة المحلية في أشعار محمود درويش
آثار حاج يحيى
Al Manhal Platform Collections (https://platform.almanhal.com) - 09/09/2025 User: @ House of Wisdom
Copyright © Al-Qasemi Arabic Language Academy : Al-Qasemi College of Education. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/106221

"وتموت وحدكَ. سوف تتركك البحار على شواطئها

وحيدًا كالحصى. ستفرّ منك المكتبات، السّيّدات،

الأغنيات، شوارع المدن، القطارات، المطارات،

البلاد تفرّ من يدك الّتي خلقت بلادًا لـلـهديلْ"[1]

ومقابل عالم المدينة يذكر الشّاعر عالم القرية، والّذي يتّسم ببساطة العيش وبدائيّته وطيبة سكّانه، وعلاقة الشّاعر بعالم القرية تحمل أبعادًا رومانسيّة ممزوجة بالحنين إلى المكان الأوّل الّذي تركه درويش عام 1948، الحنين إلى قريته "البروة" الّتي ودّعها أثناء الحرب، وعندما عاد إليها اكتشف أنّها لم تعد موجودة، ومنذ ذلك الوقت يعيش الشّاعر حالة من النّفي، والاغتراب، والتّشتّت، والضّياع في عالم المدن، وهو يحمل قريته في ذاكرته، ويحتفظ بتفاصيلها في وجدانه، من هنا نجد أنّ موضوع القرية عنده غالبًا ما يقترن بالهجرة والتّشتّت، وكأنّ علاقة الشّاعر المأزومة بعالم المدينة هي نتيجة لتلك اللّحظة الّتي فقد بها مكانه الأوّل. يقول الشّاعر في قصيدة "كلمات" من ديوان **لا أريد لهذي القصيدة أن تنتهي** (2014):

كلماتٍ كلماتٍ... تسقط الأوراق/

أوراق البتولا شاحبات، ووحيدات

على خاصرة الشّارع/ ذاك الشّارع

المهجور منذ انتهت الحرب. ونام القرويّون

الودودون على أرصفة المدن الكبرى،

فرادى وجماعات/

على الشّارع يمشي شاعر

في قلبه ثقبٌ سماويٌّ

وفي عينيه مرجٌ سابقٌ،

يمشي على أطلاله"[2]

---

1 درويش، **ديوان**، مج 1، 659.

2 محمود درويش، **لا أريد لهذي القصيدة أن تنتهي** (رام الله وعمّان: مؤسّسة محمود درويش والأهليّة للنّشر والتّوزيع ودار ناشر، 2014) 151.

أجنحة الحلم المنطلقة إلى مدن الخيال الواقعية : رؤى المدينة المحلية في أشعار محمود درويش = The Wings
آثار حاج يحيى
Al Manhal Platform Collections (https://platform.almanhal.com) - 09/09/2025 User: @ House of Wisdom
Copyright © Al-Qasemi Arabic Language Academy : Al-Qasemi College of Education. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/106221

يفتتح الشّاعر هذه القصيدة بلفظة "كلمات" المكرّرة مرّتين من خلال التّوكيد اللّفظيّ لتأكيدها وإبرازها، وربّما يشير الشّاعر من خلال هذه الكلمة إلى جميع الأشعار، والقصائد، والخطابات، والنّصوص النّثريّة، الّتي كُتبت في القضيّة الوطنيّة الفلسطينيّة على مدار السّنين، وعلامة التّأليخ تشير إلى أنّ هذه الكلمات ما زالت مستمرّة، ولن تتوقّف رغم أنّ الشّاعر يختتم بها آخر ديوان له لا **أريد لهذي القصيدة أن تنتهي** (2014). يشير الشّاعر من خلال القصيدة إلى أنّ هذه "الكلمات" تتساقط كتساقط أوراق الشّجر، وربّما يستشرف الشّاعر بذلك نهاية مسيرته الشّعريّة، وقد اختار نبتة "البتولا"، المعروفة بنبتة الحكمة، للإشارة إلى أنّ كلّ الحكم والمبادئ المنطقيّة تتناقض مع حالة التّشرّد، والنّفي، والتّشتّت الّتي يعيشها الشّاعر وسائر أبناء شعبه في المنافي، من هنا، تسقط الحكمة أو المنطق، وتسقط معها الأوراق هزيلة، ضعيفة، شاحبة، ووحيدة، ممّا يؤدّي بنا إلى عبثيّة هذه الكلمات الّتي لم تغيّر الواقع ولم تؤدّ إلى الحلم، وهو حلم العودة إلى الوطن المسلوب. وهذا السّقوط أو الهزيمة ناتج عن حرب 48، إذ أسفرت عن تهجير القرى وتشتّت القرويين المتميّزون بودّهم وطيبتهم ورحمتهم، فهم لا يعتدون على أحد، بل يُعتدى عليهم من خلال تهجيرهم، وسلب بيوتهم، وتركهم في العراء ينامون على أرصفة المدن في المنافي بشكل فرديّ وجماعيّ (وفي ذلك إشارة إلى المخيّمات). وفي الأسطر الأخيرة تحمل القصيدة مضمونًا ميتاشعريًّا، إذ تشير إلى الشّاعر (درويش) المتمسّك بقضيّته الوطنيّة بكلّ آلامها ومآسيها، لأنّها قضيّة إنسانيّة بالدّرجة الأولى ("في عينيه ثقب سماويّ"، والمحتفظ بتفاصيل مكانه الأوّل (قريته البروة) وكأنّه ماثل أمام عينيه، وقد تشير كلمة "مرج" إلى منطقة مرج بن عامر في فلسطين المحتلّة، والّتي تقع في الجليل مسقط رأس الشّاعر. هذا الشّاعر يحنّ إلى قريته، ويبكي على أطلالها المندثرة، وهذا الحنين هو الّذي يصوّبه ويحدّد خطاه "يمشي على أطلاله". وتجدر بي الإشارة إلى أنّ القصيدة أعلاه هي آخر قصيدة منشورة في مسيرة محمود درويش الشّعريّة، فهي القصيدة الأخيرة من الدّيوان الأخير، وهذا مؤشّر إلى أنّ الشّاعر ما زال متمسّكًا بحلمه الوطنيّ، حلم العودة إلى قريته، رغم المسيرة الشّعريّة الطّويلة الّتي قطعها، والّتي شهدت الكثير من التّحوّلات والتّطوّرات الشّعريّة على المستويين المضمونيّ والأسلوبيّ.

ولم يخل وصف المدينة في أشعار درويش من الإشارات إلى الأحداث التّاريخيّة والسّياسيّة الّتي حدثت في القرن الماضي، من أبرزها حرب 48، وما تقترن به من تهجير للفلسطينيّين، الهجرة اليهوديّة من الشّتات إلى البلاد، كذلك حرب 67، وما تقترن به من هزيمة للدّول العربيّة وخسارة الوطن بشكل كامل، كما ونجد عند الشّاعر نوعًا من الجلد للذّات الّتي تركت المدينة في حرب ال48 ولم تتشبّث بها أو تدافع عنها بما فيه الكفاية،

The Wings = أجنحة الحلم المنطلقة إلى مدن الخيال الواقعية : رؤى المدينة المحلية في أشعار محمود درويش
آثار حاج يحيى
Al Manhal Platform Collections (https://platform.almanhal.com) - 09/09/2025 User: @ House of Wisdom
Copyright © Al-Qasemi Arabic Language Academy : Al-Qasemi College of Education. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/106221

وهذا ما عبّر عنه الشّاعر في قصيدة "بين حلمي وبين اسمه كان موتي بطيئًا"، من ديوان **محاولة رقم 7** (1973)، حيث قال:

"المدينة لا تسقط، النّاس تسقط!.

ورويدًا.. رويدًا تفتّت وجه المدينهْ

لم نحوّل حصاها إلى لغةٍ

لم نسيّج شوارعها

لم ندافع عن الباب

لم ينضج الموت فينا"[1]

يجري الشّاعر في هذه القصيدة حوارًا مع المدينة،[2] فتشرح له المدينة أسباب الهزيمة الّتي أدّت إلى ضياعها، وتحمّله ذنب هذه الهزيمة، إذ كان يمارس "موتًا بدون شهيّة"،[3] ولم يضحّ بشكل كافٍ للحفاظ عليها، فالمدينة "لا تسقط" ولا تتخلّى عن سكّانها، بل سكّانها هم الّذين يسقطون ويُهزمون، ذلك أنّ الموت "لم ينضج" فيهم دفاعًا عن مدينتهم، كما أنّهم لم يحوّلوا معالم المدينة وحجارتها الصّغيرة إلى لغة يتداولونها يوميًّا، ولم يسيّجوا شوارعها حفاظًا عليها، ولم يتصدّوا للاحتلال الّذي دخلها من الباب، من هنا أخذت معالمها بالتّلاشي بشكل تدريجيّ "تفتّت وجه المدينة".

ومن الإشارات التّاريخيّة في أشعار درويش هجرة اليهود من الشّتات إلى أرض فلسطين عبر السّفن، وتكاثرهم في المدن بعد أن احتلوا المكان، وكسروا أبواب المدينة، وفي المقابل رحيل سكّان المدن الأصليّين، يحملون ملامح المكان في ذاكرتهم ووجدانهم، يقول الشّاعر في قصيدة "مزامير" من ديوان **أحبّك أو لا أحبّك** (1972):

"تركت وجهي على منديل أمّي

وحملت الجبال في ذاكرتي

ورحلت..

---

1 درويش، **ديوان**، مج 1، 503.

2 حملت هذه القصيدة عنوان "حوار مع المدينة" قبل أن يغيّر الشّاعر عنوانها إلى "بين حلمي وبين اسمه كان موتي بطيئًا".

3 درويش، **ديوان**، مج 1، 205.

The Wings = أجنحة الحلم المنطلقة إلى مدن الخيال الواقعية : رؤى المدينة المحلية في أشعار محمود درويش
آثار حاج يحيى
Al Manhal Platform Collections (https://platform.almanhal.com) - 09/09/2025 User: @ House of Wisdom
Copyright © Al-Qasemi Arabic Language Academy : Al-Qasemi College of Education. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/106221

كانت المدينة تُكسر أبوابها

وتتكاثر فوق سطوح السّفن"[1]

ولم تخل أشعار درويش من الإشارة إلى حرب حزيران "النّكسة"، ومن أمثلة ذلك قوله في قصيدة "تحت الشّبابيك العتيقة: إلى مدينة القدس" من ديوان **آخر الليل** (1967):

"إنّني أقرأ في عينيك ميلاد النّهار

إنّني أقرأ أسرار العواصف

لم تشيخي.. لم تخوني.. لم تموتي

إنّما غيّرت ألوان المعاطف

عندما انهار الأحبّاء الكبار

وامتشقنا، لملاقاة البنادق

باقة من أغنيات وزنابق"[2]

يخاطب الشّاعر من خلال القصيدة أعلاه مدينة القدس، فالقصيدة مهداة "إلى مدينة القدس"، وتقوم على ذكر ملامح المدينة، منها: الشّبابيك العتيقة، السّور، السّوق ودرجات السّلّم المهجور... وقد كتب الشّاعر هذا الدّيوان، **آخر اللّيل**، عام 1967 بُعيد هزيمة العرب في حرب حزيران، ويحمل عنوان الدّيوان دلالة الأمل والتّفاؤل بالرّغم من الهزيمة، فهو يستشرف نهاية اللّيل والظّلام "آخر اللّيل"، وانبلاج الفجر والنّور "إنّني أقرأ في عينيك ميلاد النّهار". من جانب آخر، يحاول الشّاعر تحليل موقف الهزيمة وتحديد أسبابها، ومن بين الأسباب الّتي يذكرها، أو الأسرار الّتي يكشف عنها "أسرار العواصف"، أنّ الدّول العربيّة واجهت الأسلحة الفتّاكة "البنادق" بال"أغنيات" وال"زنابق"، والمقصود الشّعارات الرّنانة والخطابات الّتي تبثّ روح الطّمأنينة والانتصار الموهوم،[3] غير أنّ هذه الأسلحة (الشّعارات والخطابات) لم تتمكّن من التّغلّب على "البنادق"، ونتيجة لذلك "انهار الأحبّاء الكبار"، وفي ذلك إشارة إلى الحركة النّاصريّة وباقي الدّول العربيّة الّتي خاضت

---

1 درويش، **ديوان**، مج 1، 379.

2 درويش، **ديوان**، مج 1، 169.

3 لقد أشار الشّاعر نزار قبّاني في تحليله لأسباب "النّكسة" إلى أنّ العرب واجهوا العدوّ بالخطابات الحماسيّة المترعة بالوهم، وذلك في قصيدته "هوامش على دفتر النّكسة"، إذ قال:

"إذا خسرنا الحرب لا غرابه

لأنّنا ندخلها..

بكل ما يملك الشّرقيّ من مواهب الخطابه

بالعنتريّات الّتي ما قتلت ذبابه

لأنّنا ندخلها..

بمنطق الطّبلة والرّبابة"

The Wings = أجنحة الحلم المنطلقة إلى مدن الخيال الواقعية : رؤى المدينة المحلية في أشعار محمود درويش
آثار حاج يحيى
Al Manhal Platform Collections (https://platform.almanhal.com) - 09/09/2025 User: @ House of Wisdom
Copyright © Al-Qasemi Arabic Language Academy : Al-Qasemi College of Education. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/106221

حرب 67، وقد أسفرت الحرب عن خسائر فادحة في الجانب العربيّ، وقد وظّف الشّاعر ضمير جماعة المتكلّمين (النّا الدّالة على الفاعل) للإشارة إلى الدّول العربيّة الّتي خاضت حرب 67. ويؤكّد الشّاعر أنّ هذه الهزيمة ما هي إلّا عاصفة عابرة، لن تؤثّر بالمدينة ولن تغيّر ملامحها، على العكس، حافظت المدينة على حيويّتها، وشبابها، وحياتها، وبقيت مخلصة لسكّانها الأصليّين "لم تشيخي.. لم تخوني.. لم تموتي"، على الرّغم من التّغييرات الخارجيّة العابرة الّتي طرأت عليها "إنّما غيّرت ألوان المعاطف".

وفي النّهاية لا بدّ من الإشارة إلى تمسّك الشّاعر بحلم العودة إلى المدينة المسلوبة أو المحتلّة أو فردوسه المفقود، وذلك بعد أن تنقّل بين المدن والعواصم العربيّة والأوروبيّة منذ خروجه من الوطن عام 1970. وقد تكرّرت ثيمة الحلم في أشعار درويش وفي نثريّاته، فالحلم بالنّسبة له مكمّل للواقع المنقطع الّذي عاشه.[1]

يقول الشّاعر في قصيدة "آن للشّاعر أن يقتل نفسه" من ديوان **هي أغنية، هي أغنية** (1986):

"قال: إن جئنا إلى أولى المُدُنْ

ووجدناها غيابًا

وخرابًا

لا تُصدِّقْ

لا تُطَلِّقْ

شارعًا سرنا عليه.. وإليه.

تكذُب الأرضُ ولا يكذُبُ حُلْمٌ يتدلّى من يديه"[2]

ويلخّص المقطع السّابق نظرة درويش إلى عالم المدينة، ويرسم علاقته بهذا العالم، فمدينة الواقع والحاضر منفصلة عن مدينة الأمس، وذلك بسبب التّغييرات الّتي طرأت على ملامح المدينة، سواء التّغييرات السّياسيّة، الاجتماعيّة أو الثّقافيّة، من تغييب سكّان المدينة، وتشويه معالمها، وتبديل أسماءها... وقد تحوّلت مدينة

---

1 وقد فسّر درويش سبب تمسّكه بالحلم، فقال: "أذكر شيئًا غامضًا ساعدني على الاستعانة بالخيال والحلم. كان الواقع يتعرّض لعمليّة انقطاع قبل أن يأخذ شكله النّامي في وعيي. وفي ظروف لاحقة كان لزامًا عليّ أن أعود إليه لأحتفظ بوجودي، فكان الحلم هو المكمّل. وهذا ما يجعلني في حالة حلم دائم محدودًا بمبرّرات الضّرورة، لا منطلقًا بأجنحة الوهم المترف [...] فالواقع على حالته الرّاهنة- حتّى وإن لم يكن قانونيًّا- لا يعود جزءًا منك بدون رباط الحلم الّذي يصير أكثر واقعيّة من شجرة ثابتة. والحلم على حالته العامّة- وإن لم يكن مترفًا- لا يعود حافزًا لك بدون ارتباط بصخرة مهما تغيّرت أشكالها". راجع: محمود درويش، **يوميّات الحزن العاديّ** (بيروت: رياض الرّيّس للكتب والنّشر، 2007) 12-13.

2 درويش، **ديوان**، مج 2، 285-286.

أجنحة الحلم المنطلقة إلى مدن الخيال الواقعية : رؤى المدينة المحلية في أشعار محمود درويش = The Wings
آثار حاج يحيى
Al Manhal Platform Collections (https://platform.almanhal.com) - 09/09/2025 User: @ House of Wisdom
Copyright © Al-Qasemi Arabic Language Academy : Al-Qasemi College of Education. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/106221

الماضي، الّتي كانت فيما سبق واقعًا عاشه الشّاعر بكلّ تفاصيله، إلى حلم من الصّعب استرجاعه أو القبض عليه. من هنا انبثق حلم الرّجوع إلى "مدن الخيال الواقعيّة"[1] كما نعتها الشّاعر في قصيدته "على محطّة قطار سقط عن الخريطة" من ديوانه الأخير **لا أريد لهذي القصيدة أن تنتهي** (2014). وقد صرخ الشّاعر متحدّيًا واقعه ومتمسّكًا بحلمه قائلًا في قصيدة "فرحً بشيء ما" من ديوان **كزهر اللّوز أو أبعد** (2005): "أنا حلمي أنا"،[2] وهو الّذي رأى هذا الحلم ماثلًا أمامه في قصيدة "رباعيّات" من ديوان **أرى ما أريد** (1999)، إذ قال:

"أرى ما أريد من اللّيل.. إنّي أرى
نهايات هذا الممرّ الطّويل على باب إحدى المدنْ
سأرمي مفكّرتي في مقاهي الرّصيف، سأُجلس هذا الغيابْ
على مقعد فوق إحدى السّفنْ"[3]

يتنبّأ الشّاعر أو يستشرف في المقطع أعلاه نهاية رحلة النّضال والنّفي والتّشتّت والتنقّل بين المدن والعواصم العربيّة والأوروبيّة، على المستويين الفرديّ والجماعيّ، هذه الرحلة الطّويلة "الممرّ الطّويل" ستنتهي بوصول الشّاعر أو الفلسطينيّ إلى مدينة الحلم أو الواقع المسلوب "باب إحدى المدن"، وبعد الوصول، سيضع الشّاعرُ الغيابَ على متن سفينة ويودّعه، ذلك لأنّه عاد إلى مدينته، ولن يغيب عنها مرّةً أخرى. وهذا الحلم أو أمل العودة يراه الشّاعر وسط واقع يعجّ بالمظالم "من اللّيل"، ممّا يشير إلى تمسّك الشّاعر بحلمه رغم صعوبة تحقيقه.[4]

---

1 درويش 2014. ص 26.

2 درويش 2005. ص 63.

3 درويش 1994. ص 380.

4 وعن تمسّك الشّاعر بالأمل والحلم وروح التّفاؤل، يقول درويش في إجابته عن سؤال الإعلاميّة إيفانا مرشليان، الّتي أجرت معه حوارًا صحفيًّا في شقّته في باريس عام 1991، ونشرته في كتاب يحمل اسم **أنا الموقّع أدناه** (2014)، وقد سألته "ألا تخاف من خيبة الأمل؟"، فأجابها قائلًا: "لم يعد هناك ما يكفي من الوهم لأخاف خيبة الأمل، فالعقد الأخير من هذا القرن العاصف علّمنا أن نفتح باب المخيّلة لكافّة الاحتمالات [...] لا أريد أن أرى أكثر ممّا رأيت من خيبات الأمل. ولعلّ ذلك ما تبقّى لي من أمل: أن أحصّن نفسي ضدّ الخيبة". راجع: محمود درويش، **أنا الموقّع أدناه: محمود درويش** (بيروت: دار السّاقي، 2014) 96-95.

The Wings = أجنحة الحلم المنطلقة إلى مدن الخيال الواقعية : رؤى المدينة المحلية في أشعار محمود درويش
آثار حاج يحيى
Al Manhal Platform Collections (https://platform.almanhal.com) - 09/09/2025 User: @ House of Wisdom
Copyright © Al-Qasemi Arabic Language Academy : Al-Qasemi College of Education. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/106221

ولا يتغافل الشّاعر صعوبة العودة إلى مدينة الحلم، فهذه العودة تتطلّب التّضحية والفداء، وهي منوطة أحيانًا بالموت أو الاستشهاد، وهذا ما أشار إليه الشّاعر في قصيدة "عائد إلى يافا" من ديوان **أحبّك أو لا أحبّك** (1972):

"هو الآن يرحل عنّا

ويسكن يافا

ويعرفها حجرًا.. حجرًا

[...]

هو الآن يمضي شهيدًا

ويتركنا لاجئينا!"[1]

في القصيدة أعلاه يصف الشّاعر لاجئًا فلسطينيًّا قرّر العودة إلى مدينة يافا المحتلّة، وذلك بعد أن سكنها قبل الحرب، وقد عرفها بكلّ تفاصيلها، الصّغيرة والكبيرة، فهي مدينته المسلوبة الّتي بناها حجرًا حجرًا. هذا اللّاجئ- العائد إلى يافا- يعرف ما قد يواجهه من مصاعب، وعقبات، وحرائق، ومشانق، وبالرّغم من ذلك يتمسّك بحلم العودة، "وينهمر الدّمّ منه [...] ويمضي شهيدًا"[2]، وبذلك يحقّق حلمه و"يسكنُ يافا".[3]

وللتّعبير عن موضوع المدينة يوظّف درويش أسلوب التّناص (Intertextuality) بشكل مكثّف، فيستدعي رموز تراثيّة، ودينيّة، وتاريخيّة، بعضها إسلاميّة- قرآنيّة (النّبي محمّد، عمر بن الخطّاب، الإسراء والمعراج...)، ممّا يخدم فكرة تجذّر أبناء الشّعب الفلسطينيّ في المدينة؛ والبعض الآخر رموز مسيحيّة، ويبرز في هذا المجال رمز الصّليب أو المسيح الّذي يحمل دلالة التّضحية والفداء المؤدّية إلى الخلاص والنجاة، هذا بالإضافة إلى الرّموز الدّينيّة والتّراثيّة اليهوديّة، مثل السّبي البابلي ونبوخذ نصر، للإشارة إلى أنّ ضحيّة الأمس هي جلّاد اليوم، كما وأنّ استحضار شخصيّات أنبياء وكهنة يهود، مثل إشعيا وإرميا، تخدم قضيّة العدل، والعدالة، ورفع الظّلم عن أبناء الشّعب الفلسطينيّ، والّتي ينادي بها الشّاعر كقضيّة إنسانيّة في الدّرجة الأولى، خاصّة وأنّ هؤلاء الأنبياء قد دعوا إلى العدل، والحقّ، والسّلام، ولم يرضوا بالظّلم.

---

1 درويش، **ديوان**، مج 1، 401-405.

2 درويش، **ديوان**، مج 1، 401-405.

3 درويش، **ديوان**، مج 1، 401-405.

The Wings = أجنحة الحلم المنطلقة إلى مدن الخيال الواقعية : رؤى المدينة المحلية في أشعار محمود درويش
آثار حاج يحيى
Al Manhal Platform Collections (https://platform.almanhal.com) - 09/09/2025 User: @ House of Wisdom
Copyright © Al-Qasemi Arabic Language Academy : Al-Qasemi College of Education. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/106221

هذا بالإضافة إلى توظيف أساطير الخصب أو البعث، مثل: الفينيق، والعنقاء، وأدونيس، والرّماد، وغيرها، وذلك تأثّرًا بالشّعراء التّموزيّين، وهذه الرّموز تحمل بداخلها دلالة العودة إلى المدينة أو المكان المسلوب بعد سنوات من التّشتّت، والضّياع، والنّفي، بما يتوازى مع فكرة البعث بعد الموت الّتي تحملها هذه الأساطير على اختلافها.

وبذلك يكون الشّاعر قد أعطى نصّه عمقًا وكثافة دلاليّة ونأى به عن الخطابيّة، والتّصريحيّة، والأحاديّة الدّلاليّة، كما وجعل القارئ مشاركًا فعّالًا في العمليّة الإبداعيّة من خلال تأويله للنّص والبحث عن دلالات النّصّ المتقاطعة مع النّصوص المستحضرة. يقول الشّاعر في قصيدة "في القدس" من ديوان **لا تعتذر عمّا فعلت** (2004):

"في القدس، أعني داخل السّور القديم،
أسير من زمنٍ إلى زمنٍ بلا ذكرى
تصّوبني. فإنّ الأنبياء هناك يقتسمون
تاريخ المقدّسِ... يصعدون إلى السّماء
ويرجعون أقلّ إحباطًا وحزنًا، فالمحبّة
والسّلام مقدّسان وقادمان إلى المدينة
[...]
تنبتُ الكلمات كالأعشاب من فم أشعيا
النّبويّ: "إن لم تؤمنوا لن تأمنوا"
أمشي كأنّي واحدٌ غيري. وجرحي وردةٌ
بيضاءُ إنجليزيّةٌ. ويداي مثل حمامتين على الصّليب تحلّقان وتحملان الأرض.
لا أمشي، أطير، أصير غيري في
التّجلّي. لا مكانَ ولا زمانَ. فمن أنا؟
أنا لا أنا في حضرة المعراج. لكنّي
أفكّرُ: وحده، كان النّبيّ محمّدٌ
يتكلّم العربيّة الفصحى. "وماذا بعد؟"
ماذا بعد؟ صاحت فجأة جنديّةٌ:

أجنحة الحلم المنطلقة إلى مدن الخيال الواقعية : رؤى المدينة المحلية في أشعار محمود درويش = The Wings
آثار حاج يحيى
Al Manhal Platform Collections (https://platform.almanhal.com) - 09/09/2025 User: @ House of Wisdom
Copyright © Al-Qasemi Arabic Language Academy : Al-Qasemi College of Education. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/106221

هو أنت ثانيةً؟ ألم أقتلك؟

قلت: قتلْتِني.. ونسيتُ، مثلك، أن أموت"[1]

يستحضر الشّاعر في بداية القصيدة تفاصيل تاريخيّة خاصّة بمدينة القدس، ألا وهي السّور القديم، وربّما يشير من خلال ذلك إلى العمق التّاريخيّ للوجود الفلسطينيّ في القدس، وكأنّ هذا السور التّاريخيّ شاهد على تجذّر أبناء الشّعب الفلسطينيّ في المكان، كما ويشير إلى الأنبياء المرتبطين بمدينة القدس، مشيرًا بذلك إلى اختلاف الرّوايات الدّينيّة المتعلّقة بمدينة القدس "يختلف الرّواة على كلام الضّوء في حجر"[2]، والّتي تجعلها بلدًا مقدّسًا للدّيانات الثّلاثة: الإسلاميّة، اليهوديّة، والمسيحيّة، وبسبب كونها بلدًا مقدّسًا وأرض الدّيانات السّماويّة، فإنّها تقدّس قيم المحبّة والسّلام "فالمحبّة والسّلام مقدّسان"، من هنا نجد الشّاعر يوحي بقيم السّلام، والتّعايش، والتّقبّل الإنسانيّ، فبإمكان الأنبياء أن يقتسموا القدس، ثم "يرجعون أقلّ إحباطًا وحزنًا"، بدلًا من صراعهم المستمرّ على الأرض. ويستحضر الشّاعر شخصيّة النّبيّ اليهوديّ إشعيا، والّذي عاش في القرن الثّامن قبل الميلاد، ليخدم فكرة التّقبّل الإنسانيّ ورفع الظّلم عن أبناء الشّعب الفلسطينيّ، وذلك لأنّ إشعيا رفض الظّلم، وطالب بتحقيق العدل والحقّ، كما واستحضر كلام إشعيا المقتبس من العهد القديم "إن لم تؤمنوا لن تأمنوا"، ليخاطب الاحتلال أو الشّعب اليهوديّ، وليشير إلى ضرورة اعتراف الشّعب اليهوديّ بالآخر الفلسطينيّ وبحقوقه المسلوبة، فبدون هذا الاعتراف لا يمكن أن يتحقّق السّلام العادل، ولعلّ هذا ما رمى إليه الشّاعر من خلال صورة الحمامة (رمز السّلام) المصلوبة، بمعنى أنّه يتمّ اغتيال السّلام. ولم تقتصر القصيدة على استحضار الرّموز الدّينيّة اليهوديّة، بل تضمّنت، كذلك، استحضارًا لرموز دينيّة إسلاميّة، ألا وهي رموز الإسراء والمعراج والنّبيّ محمّد، وفي ذلك إشارة إلى هوية المكان العربيّة والإسلاميّة "كان النّبيّ محمّد يتكلّم العربيّة الفصحى". في نهاية القصيدة يتفاجأ الشّاعر بجنديّة تصيح به محاولةً تجريده من الإرث الّذي يمنح المكان (القدس) هويّة عربيّة، وبما أنّها لا تستطيع اغتيال التّاريخ أو الإرث الحضاريّ، فإنّها تغتال صاحبه، أي الذّات الشّاعرة، وبالتّالي تتساءل متعجّبة كيف أنّه لم يمت رغم قتلها له؟ فيجيبها قائلًا إنّه حيّ بخلافها هي الميّتة، لأنها تجرّدت من قيمها الإنسانيّة.

---

1 محمود درويش، **الأعمال الجديدة** (بيروت: رياض الرّيّس للكتب والنّشر، 2004) 51-52.

2 درويش، **الأعمال**، 51-52.

أجنحة الحلم المنطلقة إلى مدن الخيال الواقعية : رؤى المدينة المحلية في أشعار محمود درويش = The Wings
آثار حاج يحيى
Al Manhal Platform Collections (https://platform.almanhal.com) - 09/09/2025 User: @ House of Wisdom
Copyright © Al-Qasemi Arabic Language Academy : Al-Qasemi College of Education. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/106221

خاتمة:

برز موضوع المدينة في الشّعر العربيّ المعاصر في القرن العشرين بالتّزامن مع التّطوّرات العلميّة، التّكنولوجيّة، الصّناعيّة، الاجتماعيّة، والسّياسيّة، الّتي شهدتها المدن العربيّة، وقد اتّخذ الشّعراء العرب المعاصرون، عمومًا، موقفًا سلبيًّا من عالم المدينة، بوجهها الاجتماعيّ، الاقتصاديّ، السّياسيّ والوجدانيّ.

وقد برز موضوع المدينة بشكل لافت في أشعار الشّاعر الفلسطينيّ محمود درويش، باعتباره أحد أبرز أعلام الشّعر العربيّ الحديث، ولعلّ تنقّل الشّاعر بين المدن والبلدان المختلفة، المحليّة والإقليميّة، العربيّة والغربيّة، على حدّ سواء، جعله يتّخذ موقفًا واضحًا وصريحًا من عالم المدينة، وبالتّالي يعبّر عنه من خلال أشعاره.

وقد جاء تركيز هذا البحث على المدن المحلّيّة الّتي ذكرها الشّاعر في قصائده، لأنّها تحمل الهويّة الفلسطينيّة للمكان المحتلّ، وترتبط بالقضيّة الوطنيّة الّتي كرّس الشّاعر حياته للتّعبير عنها، وهي كذلك، تشكّل حلم العودة الموجّه لخطى الشّاعر.

أمّا المدن أو القرى المحليّة الّتي ذكرها درويش في دواوينه، وهي مرتّبة حسب نسبة تكرارها، ابتداءً بالأكثر تكرارًا، وانتهاءً بالأقلّ تكرارًا، فهي: المدينة/ المدن، القدس- أورشليم، أريحا، يافا، سدوم، عكّا، حيفا، غزّة، اللّد، الرّملة، النّاصرة، الخليل، رام الله وصفد.

وتعتبر التّجربة الشّعريّة الفلسطينيّة حالة متفرّدة لها سمات وخصائص تميّزها من حيث الظّرف التّاريخيّ الّذي تمرّ به. وقد سبق وذكرتُ أنّ الشّعراء العرب المعاصرين تعاملوا مع المدينة، غالبًا، تعاملًا سلبيًّا، إذ اتّخذوا منها موقفًا معاديًا ورافضًا؛ أمّا في حالة الشّعر الفلسطينيّ بشكل عامّ، وشعر محمود درويش بشكل خاصّ، نلاحظ أنّ العلاقة الّتي تربط الشّاعر بعالم المدينة هي علاقة روحانيّة قويّة، إذ يصوّر الشّاعر المدينة بصورة المحبوبة أو المعشوقة أو الأمّ، ممّا يمنحها طابعًا مقدّسًا؛ ولأنّ الشّاعر فقد المدينة نجده يحنّ إليها ويبكي على أطلالها المندثرة، باعتبارها الفردوس المفقود. وبالرّغم من أنّ المدينة ارتبطت عنده بمشاعر الحزن، والأسى، والفقدان، إلا أنّه لم يعبّر عن يأسه أو استسلامه، بل يربط خلاص المدينة بفعل المقاومة، والثّورة، والتّضحية، والفداء.

The Wings = أجنحة الحلم المنطلقة إلى مدن الخيال الواقعية : رؤى المدينة المحلية في أشعار محمود درويش
آثار حاج يحيى
Al Manhal Platform Collections (https://platform.almanhal.com) - 09/09/2025 User: @ House of Wisdom
Copyright © Al-Qasemi Arabic Language Academy : Al-Qasemi College of Education. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/106221

إنّ تجربة المنافي، والشّتات، والتّهجير جعلت الشّاعر يتمسّك بمدينته الضّائعة، باعتبارها مركّبًا أساسيًّا من مركّبات الهويّة، وقد حاول الشّاعر تعويض خسارة المدينة من خلال استحضارها بتفاصيلها، وملامحها، وبيئتها، ورموزها الماضويّة، وذكرياته فيها، فهي مدينة مستعصِية على المحو، والنّسيان، والتّلاشي، وذلك لإثبات حقّه ووجوده التّاريخيّ، خاصّة في ظلّ محاولات تهويدها وأسرلتها من خلال تغيير ملامحها وطمس هويّتها الفلسطينيّة.

المصادر والمراجع:

إسماعيل، عزّ الدّين. **الشّعر العربيّ المعاصر: قاضياه وظواهره الفنّيّة والمعنويّة**. ط 6. القاهرة: المكتبة الأكاديميّة، 2003.

عامي، إلعاد. البحث عن الهوية: رصد أدب العرب في إسرائيل. **ألفاييم** (ألفين). 11 (1995): 173-239.

بزيع، شوقي. "محمود درويش أبعد من زهر اللّوز". **المستقبل**. ع 4 (نيسان 2006): 17-21.

جبران، سليمان. "نظم كأنّه نثر: التباس الحوار بين محمود درويش وقصيدة النّثر". **الحوار المتمدّن** (19-5-2010).

أبو جبين، عطا. **شعراء الجيل الغاضب**. عمّان: دار المسيرة للنّشر والتّوزيع والطّباعة، 2004.

الحاجّ، سمير. **يافا: بيّارة العطر والشّعر**. بيروت: المؤسّسة العربيّة للدّراسات والنّشر، 2004.

حاجّ يحيى، آثار. **الصّورة الشّعريّة في شعر محمود درويش وأمجد ناصر: ملامحها وتطوّرها**. أطروحة دكتوراه. رمات جان: جامعة بار إيلان، 2013.

حجازي، أحمد عبد المعطي. **ديوان أحمد عبد المعطي حجازي**. بيروت: دار العودة، 1973.

الحديديّ، صبحي. "محمود درويش وقصيدة النّثر". **الحوار المتمدّن**. ع 1699 (10.10.2006).

ابن حمزة، حسين. "محمود وقصيدة النّثر... 'أحبّك أو لا أحبّك'". **الحوار المتمدّن**. ع 2734 (10.8.2009).

حمود، محمّد. **الحداثة في الشّعر العربيّ المعاصر: بيانها ومظاهرها**. بيروت: الشّركة العالميّة للكتب، 1996.

The Wings = أجنحة الحلم المنطلقة إلى مدن الخيال الواقعية : رؤى المدينة المحلية في أشعار محمود درويش
آثار حاج يحيى
Al Manhal Platform Collections (https://platform.almanhal.com) - 09/09/2025 User: @ House of Wisdom
Copyright © Al-Qasemi Arabic Language Academy : Al-Qasemi College of Education. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/106221

أبو حميدة، محمّد. **الخطاب الشّعريّ عند محمود درويش: دراسة أسلوبيّة**. غزّة: مطبعة المقداد، 2000.

درويش، محمود. **ديوان محمود درويش**. ط 1. مج 2. بيروت: دار العودة، 1994.

درويش، محمود. **ديوان محمود درويش**. ط 14. مج 1. بيروت: دار العودة، 1996.

درويش، محمود. **الأعمال الجديدة**. بيروت: رياض الرّيّس للكتب والنّشر، 2004.

درويش، محمود. **كزهر اللّوز أو أبعد**. بيروت: رياض الرّيّس للكتب والنّشر، 2005.

درويش، محمود. **يوميّات الحزن العادي**. بيروت: رياض الرّيّس للكتب والنّشر، 2007.

درويش، محمود. **أنا الموقّع أدناه: محمود درويش**. بيروت: دار السّاقي، 2014.

درويش، محمود. **لا أريد لهذي القصيدة أن تنتهي**. رام اللـه وعـمّان: مؤسّسـة محمـود درويـش والأهليّـة للنّشر والتّوزيع ودار النّاشر، 2014.

الدّيك، نادي. **جراحات حيفا.. عذابات الكرمل: الشّكل والمضمون في شعر محمـود درويـش**. عكّـا: مؤسّسـة الأسوار، 2003.

رضوان، عبد اللـه. **المدينة في الشّعر العربيّ الحديث**. عمّان: وزارة الثّقافة، 2003.

الرّضوان، عبد عون. **الشّعراء العرب في القرن العشرين: في حياتهم شـعرهم آثـارهم**. عـمّان: الأهليّـة للـنّشر والتّوزيع، 2005.

سامي، سحر. **أكـثر مـن سـماء: تنـوّع المصـادر الدّينيّـة في شـعر محمـود درويـش**. القـاهرة: مركـز القـاهرة لدراسات حقوق الإنسان، 2001.

السّرطاويّ، معاذ. **مختارات من الشّعر العربيّ الحديث: دراسة وتحليل**. عمّان: دار المستقبل للنّشر والتّوزيع، 1989.

سعادة، ميشال. **محمود درويش: عصيّ على النّسيان**. بيروت: رياض الرّيّس للكتب والنّشر، 2009.

عاشور، فهد. **التّكرار في شعر محمود درويش**. بيروت: المؤسّسة العربيّة للدّراسات والنّشر، 2004.

عبّاس، إحسان. **اتّجاهات الشّعر العربيّ المعاصر**. ط 2. عمّان: دار الشّروق، 1992.

The Wings = أجنحة الحلم المنطلقة إلى مدن الخيال الواقعية : رؤى المدينة المحلية في أشعار محمود درويش
آثار حاج يحيى
Al Manhal Platform Collections (https://platform.almanhal.com) - 09/09/2025 User: @ House of Wisdom
Copyright © Al-Qasemi Arabic Language Academy : Al-Qasemi College of Education. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/106221

عبد الحميد، مهنّد. **محمود درويش: سنكون يومًا ما نريد**. السّلطة الوطنيّة الفلسطينيّة: وزارة الثّقافة، 2008.

عبد الصّبور، صلاح. **الإبحار في الذّاكرة**. مصر: مكتبة مدبولي، 1979.

علي، ناصر. **بنية القصيدة في شعر محمود درويش**. عمّان: وزارة الثّقافة، 2002.

أبو غالي، مختار. **المدينة في الشّعر العربيّ المعاصر**. الكويت: المجلس الوطنيّ للثّقافة والفنون والآداب، 1995.

فاضل، جهاد. **أسئلة الشّعر: حوارات مع الشّعراء العرب**. د.م: الدّار العربيّة للكتاب، د.ت.

أبو فخر، صقر. "درويش وبيروت: الخيمة والغيمة والنّجمة". ضمن كتاب: ميشال سعادة (محقّق). **محمود درويش: عصيّ على النّسيان**. بيروت: رياض الرّيّس للكتب والنّشر، 2009. ص 51-53.

الفريجات، عادل. **بحوث ورؤى في النّقد والأدب**. دمشق: دار المركز الثّقافيّ للطّباعة والنّشر والتّوزيع، 2007.

مرعي، محمود. **التّجريب وتحوّلات الإيقاع في شعر محمود درويش**. باقة الغربيّة: مجمع القاسميّ للّغة العربيّة، 2012.

المقالح، عبد العزيز. "الشّاعر الكبير في حضرة النّثر". **القدس العربيّ**. (20-21.9.2008): ص 13.

منصور، مناف. **الإنسان وعالم المدينة في الشّعر العربيّ الحديث**. بيروت: المطبعة الكاثوليكيّة، 1978.

مواسي، فاروق. **محمود درويش: قراءات في شعره**. كفر قرع: دار الهدى، 2001.

مونسي، حبيب. **فلسفة المكان في الشّعر العربيّ**. دمشق: اتّحاد الكتّاب العرب، 2001.

النابلسي، شاكر. **مجنون التّراب: دراسة في شعر وفكر محمود درويش**. بيروت: المؤسّسة العربيّة للدّراسات والنّشر، 2004.

ناصر، أمجد. "محمود درويش وقصيدة النّثر". **الكرمل** ع 90 (25.3.2009).

الورقيّ، السّعيد. **الموقف من المدينة في الشّعر العربيّ المعاصر**. الإسكندريّة: دار المعرفة الجامعيّة، 1991.

The Wings = أجنحة الحلم المنطلقة إلى مدن الخيال الواقعية : رؤى المدينة المحلية في أشعار محمود درويش
آثار حاج يحيى
Al Manhal Platform Collections (https://platform.almanhal.com) - 09/09/2025 User: @ House of Wisdom
Copyright © Al-Qasemi Arabic Language Academy : Al-Qasemi College of Education. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/106221

Asfour, J. *When the Words Burn*: *An Anthology of Modern Arabic Poetry 1945- 1987*Second Edition. Canada: Cormorant Books Inc, 1992.

Chalala, E. "Marcel Khalife Faces Charge Over Darwish Poem; Arab Intellectuals Rally to Defend Creative Freedom". *Aljadid*: *A Review & Record of Arab Culture and Art*. 5:23 (sun 1999), p. 7, 16.

Frangieh, B. "Modern Arabic Poetry: Vision and Reality". *Tradition*, *Modernity*, *and Postmodernity in Arabic Literature*. Leiden- Boston-Koln: Brill, 2000. pp. 221-249.

Gonzalez-Quijano, Y. "The Territory of Autobiography: Mahmud Darwish's Memory for Forgetfulness". In: Ostle & Moor & Wild (eds). *Writing the Self*: *Autobiographical writing in Modern Arabic Literature*. London: Sadi Books, 1998. pp. 183-192.

Jayyusi, S. *Modern Arabic Poetry*: *An Anthology*. New York: Columbia University Press, 1987.

Jayyusi, S. *Anthology of Modern Palestinian Literature*. New York: Columbia, 1992.

Meisami, J. & P. Starkey. *Encyclopedia of Arabic Literature*. London and New York: Routledge, 1998.

أجنحة الحلم المنطلقة إلى مدن الخيال الواقعية : رؤى المدينة المحلية في أشعار محمود درويش = The Wings
آثار حاج يحيى
Al Manhal Platform Collections (https://platform.almanhal.com) - 09/09/2025 User: @ House of Wisdom
Copyright © Al-Qasemi Arabic Language Academy : Al-Qasemi College of Education. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/106221

The wings of dream flying to the real cities of imagination: The vision of the local city in Mahmud Darwish's poetry

Athar Haj Yahia

The theme of the city in the Arab contemporary poetry appeared in the twentieth century concurring with the scientific, technical, industrial, social and political developments, which the Arab city has witnessed. The modern Arab poets in general have taken a negative attitude towards the city with its social, economic, political and emotional face.

The theme of the Arab city has obviously appeared in the poetry of Darwish, being the most distinguished modern Arab poet, maybe his movement from one city to another and from one country to another whether local, regional, Arab or foreign, made him take a frank position regarding the world of the city expressed in his poetry .

The poetic Palestinian experience is considered a unique case, which has peculiar features that distinguish it in connection with the historic circumstance in which it take place.

The modern Arab poets have handled the city almost negatively, taking a hostile stand against it, but in the Palestinian poetic case in general and Darwish's in particular, we observe that the relationship connecting the poet with the world of the city is a spiritual and strong one as the poet pictures the city as his lover or mother or mistress, giving it a holy nature, and because the poet has lost the city we find him yearns to it and weeps at its ruins considering it a lost paradise.

Despite the fact that the city is associated with melancholy, pain, distress and loss, he does not express his despair and surrender, but connects the salvation of the city with struggle, revolution, sacrifice and death.

أجنحة الحلم المنطلقة إلى مدن الخيال الواقعية : رؤى المدينة المحلية في أشعار محمود درويش = The Wings
أثار حاج يحيى
Al Manhal Platform Collections (https://platform.almanhal.com) - 09/09/2025 User: @ House of Wisdom
Copyright © Al-Qasemi Arabic Language Academy : Al-Qasemi College of Education. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/106221